تعويذة البراهته
هل تؤمن بنا..
محمد جمال
الطبعة الثانية
نوفا بلس للنشر والتوزيع
٢٧٠٥٢٩٩٣٢٠

# الإهداء

**إلى زوجتي / حصه بودستور**

أنت حضن الوطن، وهناءة الصديق، وحنان العائلة

رافقتني في تفاصيل حياتي المزدحمة جميعها، بل توغلت عميقاً في أحلامي الخيالية وفي على أرض الواقع.

أهديك هذا الكتاب الذي أرهقني! والذي أصابني بسلسلة من الانفصامات والتشظيات النفسية عبر فصوله المتتابعة!

والإرهاق الذي تكبدته من التأليف أشبه بوزر مشاكل وهموم الدنيا، وكعادتك في كل مرة يكون لك الفضل الأكبر في انتشالي من المشقّات ومد يد العون لي، أنت ببساطة، حلم لا أريد الاستيقاظ منه!

أطال الله عمرك كي أنعم بسماع دقات قلبك، يا أجمل أسراري!

**محمد جمال**

عزيزي القارىء

هل ظننت يوماً ما بأنك تستطيع أن تحل الألغاز جميعها؟ وتفتح الأبواب المغلقة؟ هل شعرت لوهلة بأنك تفهم كل ما يجري في هذه الدنيا؟

دعني أتحداك في هذا اليوم الجميل، أنت بصدد الدخول في دوامة غريبة! وفي عالم مجنون، هل تستطيع أن تثق بأنك سوف تخرج منه سالماً؟ أتمنى ذلك!

هل تذكرون عندما كذبوا علينا في اختلاق حكاية الوصول إلى القمر؟ هل شاهدتم العلم وهو يرفرف، رغم عدم وجود هواء على سطح ذلك الكويكب؟

هل نسيتم الادعاءات بوجود مخلوقات فضائية، تزور كوكب الأرض بين الحين والآخر؟

وهل تريدونني أن أسرد عليكم أوهام مثلث (برمودا) ؟ والخرافات التي نسجت عن ابتلاعه لأية طائرة أو جسيم يحلق فوقه!

العيب ليس في صناع الحكايات الخرافية، بل عليكم. على سذاجتكم المفرطة، أنتم من تعتبرونهم كالنص المقدس، الذي من المستحيل أن يتم تحريفه أو تكذيبه!

تريدونني أن أكذب عليكم؟ وأؤمن بوجود الجن والمخلوقات الفضائية، وأسرار كونية لم تكشف صحتها من كذبها بعد؟

أنا آسف لن أصدق كل هذا الهراء، لأنه غير موجودا

ماثيو روبروت

# المقدمة

غرفة مظلمة جافاها النور، حيطانها كساها لون أسود كئيب.علقت فوقها ساعة قديمة جداً، صوت تكات عقاربها يثير الرعب، وكأن هناك شراً مستطيراً يختبئ فيها.

ثمة سرير ضخم يتوسط الغرفة، ينام عليه رجلٌ في عقده الرابع، يتصبب وجهه عرقاً وكأنه يتعذب في منامه.

أبواب خفية تارة تحرك لحافه، وتارة يقهقه أصحابها قهقهات شريرة قرب إذنه، ولكنّ نوم الرجل كان ثقيلاً نقلَ الجبال!

نسمات هواء باردة بدأت تضرب وجهه، رغم أن الغرفة ليس بها نوافذ!

بدأت تظهر خربشات على الحائط بلون الدم، وكأن صاحبها يخربش عابثاً بجرح أظافر أصابعه، وحتى الآن يحدث كل هذا من طرف قوى غريبة وخفية!

- مانيو.... مانيو!

أتى هذا الصوت الأنثوي من العدم! وبدأ يجري في مسامع مانيو النائم.

مرة تلو الأخرى إلى أن استيقظ من منامه. فتح عينيه وشعر برعب غريب، كرعب اللحظة التي تظن فيها بأن هناك من يراقبنا، رغم خلو المكان!

حاول مانيو أن ينير الغرفة بالمصباح الصغير الموجود عند سريره، ولكن خاب أمله كثيراً؛ إذ أنه لم يعمل!

زاد تعرق وجهه، وشعر بأن ضربات قلبه تتسارع.

- هل سأصاب بنوبة قلبية؟

سأل نفسه ذلك السؤال، وقرر أن ينهض من سريره، وضع رجله على الأرض، ولكنّ قوىً خفية دفعته إلى مكانه من جديد، بدأ يصرخ بخوف:

- من هناك؟ أظهر نفسك حالاً!

ترددت ضحكات شريرة في أرجاء الغرفة، جعلته يتجمد في مكانه!

فجأة، ومن خلال الظلام المنتشر، ظهرت امرأة من العدم، لا ينكشف منها سوى عينيها الحمراوين المشعتين ببريق غريب. وقالت:

- هل تؤمن بنا يا مانيو؟

شعر بثقل في لسانه، ولكنه تسلح بثقة كبيرة! مصدرها إيمان راسخ! وأفكار واثقة لا يخالجها أي شك، وقال:

- لا أؤمن بكم! وهذه تخيلات لا أكثر!

ضحكت المرأة من جديد، واهتزت الغرفة بأكملها، وسقطت الساعة صاحبة الصوت الملعون، وبدأت تُخرج صوتاً أكثر رعباً، وكأنّ عقاربها تسابق بعضها بعضاً. قالت المرأة:

- صدقني... سوف تؤمن بنا!

في إحدى القاعات الكبيرة المكتظة بالحضور يجلس مجموعة من الصحفيين، وهم يترقبون وصول شخص ما، هناك أيضاً العديد من مراسلي القنوات التلفزيونية، ويوجد بعض الناس في عداد الحضور العام. هذه الندوة نادراً ما تُقام، لأنّ من سيحضر وسيشارك فيها،قد سبب جدلاً كبيراً في اعتقاداته، وفي نظرياته الغريبة، وفي نقته المفرطة بنفسه، التي ربما لا يتفق حولها الجميع!

بين الحضور امرأة حسناء،ذات شعر طويل وداكن، في يدها العديد من الأوراق، وتمسك بهاتفها المحمول، وكأنها تمسك برضيعها، عيونها حائرة... خائفة! تنظر إلى الموجودين جميعاً بقلق وبشك!

ألقت نظرها إلى الساعة الموجودة في هاتفها، وقررت أن تجري اتصالاً، وبعد بضع ثوانٍ قالت:

- أين أنت يا أستاذ ماثيو؟ فالحضور أصابهم الملل!

- إنني هنا!

ظهر الصوت خلفها، لقد كان الأستاذ ماثيو روبرت المنتظر! صاحب القوام الطويل، والشعر الأشقر القصير، كان ينظر إليها بوجه شاحب! وكأن الابتسامة اختراع جديد، لم يخطر على باله أبداً. إنهُ يملك عيوناً صغيرة ودقيقة! يضع فوقها نظارة طبية، تساعده على إخفاء مظاهر قسوة الدنيا، التي تجبرنا أحياناً على فعل أشياء لا نريدها كلما تقدّم بنا العمر، كان يحمل في يده جهاز تسجيل، يسجل بوساطته ندواته، وأفكاره.

صعد برفقة الفتاة إلى المنصة، وجلس بكل ثقة، وهيأ جهازه على وضعية التسجيل، وبدأ ينظر إلى الناس بكل اعتداد وفخر، ولكنّ عيون الحاضرين كانت قاسية! وترسل نظرات مشمئزة!

قالت الفتاة بابتسامة يشوبها التوتر:

-شكراً على حضوركم أعزائي، وأنا آسفة على تأخرنا في البدء بالندوة، أقدّم لكم السيد ماثيو روبرت، صاحب النظريات التي ثقة من يتفق معها، وثقة من يعارضها، هو من قال بأنّ هذا الكون لا يوجد فيه إلا البشر، لا أريد الإطالة أكثر، فسوف أتركهُ يتكلم معكم.

ابتسمت الفتاة بود للأستاذ ماثيو، الذي تناولَ منها مكبّر الصوت، ورفع رأسه إلى الأعلى، وكأنه يستحضر شيئاً ما من ذهنه، ومن ثمّ قال:

- لا أعرف كيف أبدأ معكم! فأنا هنا كي أسمع منكم، وأجيب على تساؤلاتكم، ولكن هناك أمر ما لم يُعجبني منذ أن حضرتُ إلى هذا المكان.

نهض أحد الحضور وقال بلهجة قاسية:

- أمرٌ يختلف عن تأخيرك غير المبرّر؟ وكأنك لا تحترم هؤلاء البشر!

أظهرَ ماثيو ابتسامةً ماكرة على محياه، ومن ثمّ قال:

- لقد اقتربتَ في تخمينك يا صديقي! فالأمر الذي لم يعجبني، هو هذه الفتاة التي قدّمتني إليكم.

استكانت ملامح وجه الفتاة، وقد تحوّلَ إلى وجهٍ مرتبك، يغشاهُ اللون الأحمر! فأكمل ماثيو وقال:

- قالت بأنها تعتذرُ عن تأخيري، وأنت يا سيد، قلتَ بأنك سئمتَ من الانتظار، أنا سوف أسألكم سؤالاً واحداً، لماذا لم تغادروا المكان بسبب التأخير؟

قالها بكل تعالٍ وتكبّر، وسكت الحضور! لقد أخرسهم! كأنه يقول لهم صراحةً: إنكم تحتاجونني، وتريدونني، مع ما أقدّمُ من أفكاري المهمة!

- دعونا نبدأ هذه الندوة، هل من أسئلة؟

الحضور جميعاً رفعوا أياديهم دليلاً على الموافقة، حتى الرجل الذي هاجمه كان من بينهم، فأشار ماتيو إلى فتاة يظهر أنها في العقد الثالث من عمرها، فقالت:

- معك (جوليا)، إعلامية في إحدى المواقع الإخبارية، لدي سؤال واحد إذا سمحت! ماذا تقول عن الناس الذين يهاجمونك بشدة، وأنا أظن بأن معظمهم حاضرون معنا هنا!

قال ماتيو بنبرة خبيثة، وهو يوزّع نظراته على الحضور:

- بالطبع هم موجودون هنا! سبب الهجوم الكبير علي يعود إلى أنهم جهلاء! نحن نعيش وسط الظلام! عندما خرجت في أول مرة إلى العلن، ووضعت معتقداتي أمام الجميع، لم يتقبلها أحد، وإلى يومنا هذا هناك مشككون.

قاطعته الفتاة صاحبة المدونة، وقالت:

- أنا آسفة، ولكن هل لك أن تشرح لنا اعتقاداتك الغريبة من جديد؟

تمالك ماتيو أعصابه، لأنه لا يحبّ أن يقاطع أفكاره أحد، وقال:

- نحن نعيش في هذا الكون منذ زمن بعيد، خطؤنا الوحيد هو في التعليم الذي نتلقاه منذ صغرنا في المدرسة، وعندما نكبر فإننا ننضج، وللأسف نجعل معتقدات من حولنا تؤثر علينا. لو جلبت طفلاً لم يرَ فاكهة التفاح من قبل، وقلت له إنها تُدعى فراولة! فإنه سوف يكبر ويقتنع بأن التفاحة هي فراولة! وهذا أكبر خطأ! هم يغسلون أذهاننا وأفكارنا بطريقتهم الخاصة، وإذا أردتم الحقيقة! فأنا أرى الآن، وفي المشاكل والنظريات المطروحة جميعها، بأنه فعلاً قد أصبحت التفاحة فراولة!

نهضت الفتاة نفسها من جديد، وقالت:

- ولكنك يا أستاذ ماتيو لم تُجب بوضوح!

- على رسلك يا فتاة؛ فأنا لم أنتهِ! قلتها من قبل، وسوف أقولها إلى آخر يوم في حياتي، أنا الأستاذ ماتيو روبرت، الحاصل على درجات عالية في علم النفس، والملمّ بعلمنا وبأحوال كوكبنا وما يجاوره، أقول لكم بأنه ليس هناك في هذه الكرة الأرضية بأكملها غيرنا نحن البشر! لا توجد شياطين ولا جن، ولا توجد مخلوقات فضائية، ليس هناك أسرار كونية! ولا هناك أشياء غير مكتشفة! لقد خدعوكم! وزعموا بأن أجسادكم تعشّها الشياطين، وكذبوا عليكم عندما قالوا بأن مساكنكم يوجد فيها أشباح وأرواح هائمة! وضحكوا عليكم بكذبة الوصول إلى القمر!

نهض أحد الحضور دون استئذان، كان أبيض البشرة، سمين الجسم، أصلع الرأس، وقال:

- إذن، أنت تهاجم علماءنا جميعهم، وتهاجم الطبيعة نفسها! والمخلوقات الموجودة سراً، والأسرار المدفونة بحراً، أنت تهاجم كلّ شيء دون عذر.

ضحك ماتيو بصوت عالٍ، وبطريقة استفزازية، وقال:

- إذاً، هات لي دليلاً على وجود الشياطين! دعنا نرى هذه المخلوقات، هيا! أريد أن أرى!

سكت الرجل وجلس في مقعده، فأكمل ماتيو وقال:

- لن أجري خلف هذه الترهات، ولن أتنازل عن معتقداتي، وهل تعلمون لماذا لم تغادروا المكان عندما تأخرتُ؟ لأنّ معظمكم مؤمنون بكلامي، ولكنكم جبناء! وإلى هنا انتهت هذه الجلسة!

قالها، وغادر المكان، وسط ذهول الجميع!

وصل إلى الباب وفتحه؛ فخرجت من أمامه امرأة في العقد السادس من عمرها، قصيرة جداً! وشعرها بالكامل ملون بدرجات الشيب الأبيض، لقد كان مبعثراً بطريقة مريبة، عيونها يسكن فيهما سواد الليل المخيف، وأسنانها صفراء مرعبة، نظرت إليه بابتسامة ماكرة وقالت:

- سوف تؤمن بنا أيها الشاب... سوف تؤمن!

قالتها وركضت إلى الداخل وهي تصرخ، فركض خلفها ودخل القاعة من جديد، ولكنها لم تكن موجودة! أخذ الناس ينظرون إليه باستغراب، فقال محاولاً أن يبرّر الموضوع:

- أنا آسف، لقد ظننت بأنني نسيت شيئاً. قالها، ووزّع نظراته مرة أخرى في المكان، خاب أمله ورحل!

خرج ماثيو من المكان، ووجد العديد من الكاميرات والصحفيين الذين انهالوا عليه بتحقيقاتهم الكثيرة، منهم من سأله:

- هل تخشى من الوقوع في مشاكل جرّاء استمرارك باعتناق هذه الأفكار؟

- أنت تسير في الاتجاه الخاطىء يا هذا!

- لماذا تستمتع بتسليط الضوء عليك؟

كان ماثيو يبتسم دون مبالاة، ويتخطى الشخص تلو الآخر، ولكنه رفع وجهه فجأة وتغيرت ملامحه، رأى المرأة المشردة التي كانت في الداخل، تمشي بهدوء بين الحضور، إلى أن وصلت إليه، وأمسكته من يده بطريقه مفزعة، وقالت وهي مبتسمة كاشفة عن رعب أسنانها:

- سوف تؤمن!

انتابه الخوف والهلع! فأمسك بيدها هو الآخر، وبدأ يصرخ:

- من أنت يا مجنونة؟ وماذا تريدين مني؟

سرعان ما أحاط به الصحفيون مهللين من روعه، وجعلوا المرأة تفرّ هاربة، فبدؤوا يصوّرون الحدث من جديد، وانتشرت التعليقات تلو الأخرى من قبلهم:

- يحدث الآن! ماثيو روبرت يجن ويفقد عقله، ويهاجم إحدى المتسولات!

- هذا الرجل فقد عقله! نظرياته وأفكاره سوف تجعله يجن!

في هذه اللحظة، عرف ماثيو بأنه وقع في الفخ! فقرّر أن ينسحب من المكان، لكي لا تحدث معه أمور أخرى غريبة، ربما تضعف من صورته أمام الجميع!

يجلس ماثيو في غرفة المعيشة الأنيقة الموجودة في منزله، يتكوّن جدرانها من الخشب، ويتوضطها أريكة كبيرة، موجوز أمامها طاولة دائرية، تكاد تختنق من تراكم الكتب والأوراق فوق سطحها، ويجاورها تلفاز متوسط الحجم، أدارة على إحدى القنوات الإخبارية.

يوجد مكتب في الزاوية اليسرى من الغرفة، يضع فوقة جهاز الكمبيوتر الخاص به، وهناك ساعة أثرية وكبيرة في الزاوية اليمنى، وفي الزاوية نفسها، يعلق الكثير من الصور، ذكريات لزوجته وابنته اللتين غابتا عن هذه الدنيا. ينظر ماثيو إليهما بشغف، وبنظرات حزينة تملؤها الحسرة، نعم فهذه هي حياتنا، مجرد ذكريات! يُقال بأن النسيان نعمة! ولكن بعض الأشياء لا تنسى أبداً!

قرر أن يجلس على الأريكة، ويمسك بكتاب سميك جداً، وضع نظارته لمساعدته في هذه الرحلة، ثم أخذ يتمعّن في الكلمات والحروف، ولكن سرعان ما أغلق الكتاب، ورماه على الطاولة وقال بضجر:

- في هذه الأيام، أيّ شخص يستطيع أن يصدر كتاباً، ويُقال عنه مؤلّف، وربما يبيع العديد من النسخ، ويتصدر قائمة المبيعات، وعندما تتمعّن في كتاباته، ترى عن قرب عقلة الفارغ! وتأسف على حياته التي يعيشها! لقد هرمتُ وأنا أقول لا تجعلوا من الحمقى مشاهيرا!

أمسك إحدى الأوراق البيضاء الموجودة على الطاولة، وكان يريد أن يكتب بعض الجمل التي طرأت على خاطره. بدأ يكتب ويشطب، ويرسم المربعات والمثلثات على طرف الصفحة؛ فهذه واحدةٌ من طباعه التي تجعله يبحرُ في عالم الكتابة. فجأة وضع القلم في مكانه وقال:

- تباً! أكثر شيء أهواه في الدنيا هو الكتابة، ولكنّ الكتابة هي أكثر الأشياء التي تُلقي الرعب في نفسي!

وجّه نظرهُ نحو التلفاز، وخلع نظارته، وشاهد بضيق المشهد الذي تكرّر قبل بضع ساعات حين كان يهجم على المرأة المشردة، فأغلق التلفاز بسرعة وقال:

- يا لهؤلاء الجهلاء! يحاولون تشويه صورتي بأيّ شكل من الأشكال!

رفع رأسه إلى الأفق البعيد، وأغمض عينيه، لكي يعزلَ نفسه عن هذا العالم البائس، ولكنه فزع عندما سمع أحداً يطرقُ بابه بقوة! لقد كاد الباب أن يتكسر إلى أجزاء من قوة الطرق! نهض بسرعة، وبدأ يتمتم ويقول:

- من هذا الأبله الذي يضرب الباب بهذه القوة؟!

فتح الباب، ولم يجد أحداً! تلفّت يميناً ويساراً، ولكنه ضدم من خلوّ المكان! كان يريد أن يغلق الباب، ولكنهُ وجدَ ظرفاً ينام بهدوء على عتبة منزله. التقطهُ من الأرض وهو يبحثُ عن أي شخص ربما يهجم عليه على حين غرّة!

دخلَ إلى المنزل من جديد، وجلس وبدأ يتفحص الظرف. لقد كان مربع الشكل، ذا لونٍ أحمر، يتسم بالأناقة، وكأنما يحملُ دعوة لحضور أحد عروض الأزياء العالمية.

كانَ الظرف من الجانب الخلفي مختوماً من جهة رسمية تسمى -منظمة كشف الخوارق- انتابهُ الحماس المفاجيء، ففتحهُ بسرعة، ووجد الرسالة تقول:

**إلى السيد / ماثيو روبرت المحترم...**

**تحية طيبة وبعد...**

**نحن منظمة كشف الخوارق، نرسل إليك هذه الدعوة بكل تواضع وخجل منك! فأنت اسم لا يُستهان به في عالم كشف الخوارق، ربما تقول بأنّ معتقداتك المعروفة تنافي وجود هذه الأشياء، وربما تقول أيضاً بأنّ هذا**

هو سبب استلامك لهذه الدعوة.

نحن ندعوك إلى المكوث في قصر (الغموض)، لربما إن بحثت عنه سوف تجد الكثير مما يهمك، وأحياناً لا تجد شيئاً حدثت الكثير من الغرائب والعجائب في هذا القصر، من جرائم قتل،وأصوات غير معلومة المصدر، وحالات اختفاء لكل من تطأ قدماه هذا المكان. إنه تحدٍ يا سيدي المحترم، ندعوك للحضور إلى القصر غداً في الساعة التاسعة صباحاً، وسوف نستقبلك هناك، ولربما تستطيع أن تُنجز تقريراً عن هذه الأسرار التي عجزنا عن تفسيرها.

ونحن نعلم بأن الموضوع لابد من التفكير به، ولكنك سوف تأتي!

انتهت الرسالة، وارتسم الفضول على وجه ماتيو، وقال لنفسه:

- دعوة غريبة بحق! ولكن آخر جملة زادت شكوكي في الموضوع كله! كيف لهم أن يكونوا واثقين من أنفسهم بهذه الطريقة ؟ وما الذي يجعلني أذهب في هذه الرحلة السخيفة! وهي في الأساس تتعارض مع معتقداتي جميعها!. هل يريدون مني أن أزورهم كي أسبب لهم بعض الإحراج لا أكثر؟ لا أعلم!

توجه نحو حاسوبه الشخصي، وبدأ يبحث عن القصر المنشود، وبالفعل وجد العديد من الأخبار المرتبطة به، واستغرب بأنه لم يسمع عنه من قبل! هناك حالات قتل قيدت ضد مجهول، وهناك من اختفوا منذ أن قرروا أن يدخلوا إليه، وثقة العديد من الأخبار تشير بإصبع الاتهام إلى وجود قوى خارقة غير مألوفة في ذلك القصر!

أغلق ماتيو صفحة البحث، وبدأ يضحك على هذه الخزعبلات، ولكنه إنسان يحب التحدي! ولربما هذه الزيارة تدعم نظرياته التي يؤمن بها، وتجعلة يبرهن من جديد بأنه لا وجود لأي قوىً خارقة في عالمنا البسيط.

كان يضع زجاجة ماء إلى جانبه، نظر إليها عدة دقائق، ومن ثم قال:

- سأجعل القرعة تختار لي، إن كنت سألبي الدعوة أم لا !

فكّر بأن يجعل الزجاجة تدور، فإن واجهته من الأمام عندما تتوقف عن الدوران فسوف يذهب، وإن واجهته من الخلف فلن يذهب. أمسكها بأطراف أصابعه، وأغمض عينيه مبتسماً، وجعلها تدور!

بعد توانٍ قليلة، فتح عينيه ورأى بأنها تواجهه من الخلف. ألسعت ابتسامته، ونهض من مكانه وقال:

- القدر لا يريدني أن أضيع وقتي في هذه الرحلة التافهة.

قرّر أن يخرج من غرفة المعيشة، ولكنه توقف فجأة! سمع صوت حركة بسيطة وغريبة قرب مكتبه الخاص، التفت وصدم من ما رآه!! بلا أيّ تفسير منطقي، استدارت زجاجة الماء، وغدت تواجهه من الأمام!

أغمض عينيه، وفتحهما من جديد! كان الإرهاق يسيطر عليه! لمس الزجاجة بطرف أصابعه، وقال مفكراً:

- كيف حدث هذا!

ضحك بصوت عالٍ، وأمسك برأسه محاولة طرد الأفكار التي ربما تقف ضد معتقداته الثمينة، فقال وهو يحاول أن يقنع نفسه بصواب أفكاره:

- لقد توقفت من الجهة الأمامية بداية! ولكنني رأيت أنها توقفت من الجهة المعاكسة بتأثير التعب الذي أشعر به! إذاً... غداً سوف أنطلق لزيارة ذلك القصر!

ظلام دامس، وزوايا فارغة لا تملك في جعبتها شيئاً. السكون يخيم على المكان بطريقة غريبة. يفتح باب الغرفة ويدخل منها ماتيو، تعابير الصدمة والذهول مرسومة على وجهه!

يتقدم خطوتين إلى الأمام، ويواجه صعوبة في رؤية محتويات الغرفة. فجأة! تظهر إنارة من جزء بسيط في آخر المكان، هناك حاجز زجاجي يظهر ويفصل الغرفة إلى نصفين! تتصاعد علامات الحيرة والخوف على وجه ماتيو، فيركض نحو الحاجز الزجاجي ويصرخ:

- لا!!!

لقد رأى زوجته وابنته وهما مقيدتان بالحبال، وفاقدتان للوعي وممددتان على الأرض. أخذ ماتيو يضرب بقوة على الجدار، يحاول كسره... تفكيكه! ولكن دون جدوى! انطفأت الأنوار من جديد، وبعد ثوانٍ قليلة، عاد كل شيء إلى وضعه الطبيعي، ولكن هذه المرة رأى مخلوقاً غريباً يقف على مسافة متساوية بين زوجته وابنته! تمعّن ماتيو في هيئته الجسمانية، وانتابه الرعب الشديد! كان أسود البشرة، طويل القامة! عظام جسده بارزة بطريقة مخيفة! لديه نظرات ثاقبة تنبعث من عيونه الحمراء. فجأة! بدأ المخلوق ينهش جسديهما بطريقة وحشية، لقد كان يعتبرهما وجبته التي سوف تُشبعه بعد جوع شديد! بدأ ماتيو بالصراخ، وهو يضرب بيده:

- توقف! ماذا تفعل بعائلتي؟!

التفت المخلوق إليه، وهو يمسك برأس زوجته ويرميه على الأرض دون مبالاة، وقال وهو يشير بإصبعه إلى ماتيو:

- سوف تُؤمن بنا يا ماتيوا

زنّ جرس المنبه، واستيقظ ماتيو من كابوسه المرعب. وجد جسده بأكمله مبللاً بالعرق. وقف على رجله، مشى في الغرفة يميناً وشمالاً، محاولاً أن ينسى ما رآه في منامه. فقرّر أن يدخل ويأخذ حماماً بارداً عساه يطرد هذه الأفكار كلّها، وينطلق نحو القصر المنشود!

استيقظت مبكراً، كانت أجواء الصباح غائمة ومعطرة بقطرات خجولة، إننا نعيش في شتاء هادئ، عندما كنت أرتحل من بلد إلى آخر، كنت أستمتع بزيارة البلدان التي ينعم شعبها بسقوط الثلج في فصل الشتاء، ولكن في المكان الذي أعيش فيه، لا يوجد هناك ثلج، حتى في فصل الشتاء.

وضبت حقيبتي، ووضعت فيها عدة عبارات، وقلت لنفسي: " هل سوف أحتاجهم؟ "

لا أعلم كم من الليالي سوف أسكن في هذا القصر! وضعت جهاز التسجيل في جيبي كعادتي، وأخذت نظارتي الطبية. إحساسي يقول لي بأنني سأزور ذاك القصر لساعات بسيطة، وأكتشف زيف ما يجري فيه بسهولة! أنا متأكد بأن حكايته خيالية، ولم ولن أصدق ما قرأت عنه! فقط الجهلاء من يعيشون على وهم الحبر المنثور في كلمات الجرائد المخادعة!

استدعيت سيارة أجرة، ولسوء حظي كان السائق يعرفني، بل... يحتقرني!

طوال طريقنا وهو يتذمر من أفكاري وعقليتي، ويتهمني بالجنون لأني أطعن في معتقداته هو وأجداده البائسين! كنت لا أجيب على أي سؤال يخرج من فمه الجاهل، وكنت أردد باستمرار بأنه أحمق آخر يعكر حياتي الجميلة.

وصلنا إلى القصر، فنزل السائق وحمل حقيبتي ووضعها على الأرض بعنف، ابتسمت له كي أزيد من مرارة كرهه لي، ثم أعطيته النقود، أخذها، وأشار إلى القصر وقال بقسوة:

- أتمنى أن أسمع خبر موتك بين أرجاء هذا القصر.

رغم اشمئزازي من كراهيته لي، لكنني لم أعره أيّ اهتمام.

حملت حقيبتي بيدي، ونظرت إلى القصر لأول مرة، وبدأ عقلي يحلل المشهد!

القصر كبير جداً، فطليّ باللون الأسود القاتم! لونه جلب لي طاقة سلبية كبيرة! الأمر الذي أذهلني، أنه بلا نوافذ! كيف لقصر بهذا الحجم ألاّ يكون به نوافذ! هل توجد في جانبه الخلفي؟ ربما!

أمامه حديقة كبيرة، وبها العديد من الفواكه المزروعة، من نظرة واحدة لها، تأكدت بأنها تتلقى اهتماماً كبيراً من أحدهم.

اقتربت بخطواتي من باب القصر، فوجدته مفتوحاً! وتناهى إلى السمع من الداخل أصوات لأشخاص من الواضح أنهم عالقون في جدال كبير! لقد كان الباب ضخماً بشكل مفزع! وبه نقوش ملوّنة ومتفزّعة بين زواياه، لم يكن جديداً! بل يبدو بأنه يحمل تاريخاً عريقاً وضارباً في القِدم .

دخلت بكل ثقة وبدون حذر، رأيت صالة القصر المهيبة! إنها كبيرة وواسعة، كل طرف فيها مزين برسم غريب، هل هو فنّ! لم أشهده من قبل؟ هناك قبة في الأعلى تتوضطها ثريا تلمع بشدة، رغم ارتفاعها الكبير عن الأرض، هل هي خبيبات ألماس... لا أعلم!

توزّعت نظراتي على المكان بشكل فاحص، هناك درج يؤدي إلى الأعلى، وهناك درج آخر يؤدي إلى السرداب، الصالة مقسمة بأسلوب فني! زاوية يوجد فيها عدد من الأرائك، يتوسطها طاولة مستطيلة لونها أبيض، وفوقها العديد من الجرائد اليومية.

وفي الزاوية الأخرى هناك جلسة مختلفة! وفي المنتصف توجد سجادة ممتدة إلى الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي، فاخرة وتتزين بلون دم الغزال.

- عفواً من أنت!

روعة وجمال المكان جعلاني في غفلة عن الأشخاص الموجودين في القاعة!، من حدثتني كانت امرأة في العقد الثالث من عمرها، بياضُها لؤلؤي، جميلة الملامح، شعرها طويل، لونه أشقر مشع! لديها نظره ثاقبة، تستطيع من خلالها أن تقرأ ماضيك التعيس، ومستقبلك الغامض!

والشخص الآخر كان غريباً بعض الشيء! قصير القامة! ذو شعر أسود وقصيرا يضع نظارة طبية كبيرة الحجم، من إشارات جسده، يبدو أنهُ متوتر جداً!

أجبت الفتاة قائلاً:

- أنا الأستاذ: ماتيو روبرت.

ضحكت بطريقة استفزازية، وقالت:

- نعم! قلتُ في نفسي بأنّ وجهك مألوف!

شعرت بقليل من الإهانة، فقلت:

- ومن أنتِ يا فتاة؟

رمقتني بنظرة استغراب، وقالت:

- فتاة؟ أنا الكاتبة صوفيا أدم، مؤلفة وروائية، بالطبع سمعت عني من قبل!

تعفنتُ أن أكون وقحاً معها، ولكنّ جوابي كان صادقاً:

- بصراحة، لم أسمع عنكِ من قبل!

تركتها هي ووجهها المذهول، ووجّهتُ نظرتي إلى الشخص الآخر:

-وأنت يا سيدي، من تكون!

نظر إليّ نظراتٍ مرتبكة، وبدأ يعطس مرة تلو الأخرى، وكأنه تعرّض لزكام بشكل مفاجيء، وقال:

- اسمي لوكاس، صحفي.

مسحتُ الجميع بنظراتي، وقلتُ بحزم:

- ماذا تفعلون هنا؟

أجابت صوفيا:

- قل لنا أنت، ماسبب مجيئك إلى القصر؟ ولماذا تحدثنا بتعالٍ؟

أخرجتُ من حقيبتي الدعوة التي وجهت إليّ:

- لقد تمت دعوتي إلى هذا المكان!

ضحكت صوفيا وأخرجت الدعوة نفسها من جيبها، فأخرج لوكاس هو الآخر دعوته.

لأول مرة أشعر بأنني متوتر، وأنني محاصرٌ وسط أسئلة لا أملك إجابةً لها. فقلتُ:

- هل من الممكن أن تقولوا لي: ماسبب زيارتكم لهذا القصر؟

عطس لوكاس مرة أخرى! فقالت صوفيا:

- كما قلتُ: أنا روائية، وتلقيت دعوة للحضور إلى هذا المكان؛ لكي أدرسهُ وأحاول الكتابة عنه!

فقلتُ لها:

- وأنا تلقيت هذه الدعوة لدراسة هذا المكان! وجئت لكي أكذب الأحاديث والخزعبلات جميعها التي تقال عنها!

نظرت إلى لوكاس، وقلت:

- وأنت يا رجل! ماسبب وجودك هنا؟

استمر على حالته، يعطس ويأخذ أنفاسه بصعوبة! ركضت نحوه، وحاولت أن أفعل أي شيء، ولكني لم أملك الحلول! فهدأ بعد توان، وقال معتذراً:

- أنا آسف جداً، إنني أعاني من حالة نفسية صعبة، كلما شعرت بالتوتر أبدأ بالعطاس!

قلت في سري: ماهذه الحالة النفسية الغريبة! لم أسمع عنها من قبل! فأكمل لوكاس حديثه وقال:

- منذ بداية الحوادث الغريبة التي جرت بين زوايا هذا القصر، بدأ الصحفيون جميعاً يتهربون من القيام بالتغطية حولها،وعرضوا علي مكأفاة مالية كبيرة! فقط لكي أحضر إلى القصر، وأصور بكاميرتي مايجري من غرائب فيه!

أخرج من حقيبته كاميرا صغيرة، جاء بها كي يوثق كل ماسيحدث في القصر.

إذن، جميعنا هنا من أجل هذا القصر الغامض! وكل واحد ملا تخصصة مختلف عن الآخر، ولكن يبقى السؤال الأهم: أين صاحب الدعوات؟ من أرسل البطاقات إلينا؟!

كنت غارقاً في التفكير، ولكن ماحدث بعدها جعل عيوني تكاد تخرج من مكانها، نزلت طفلة يظهر بأنها في العاشرة من عمرها، شعرها أسود طويل ولامع! يصل إلى منتصف ظهرها! تملك عيوناً بريئة، إنها ملاك يهبط من على السلم المودي للأعلى! تمسك بيدها دمية، وهي مصنوعة من القطن.

نزلت ووضعت رجلها على الأرض، وبدأت تنظر إلينا بذهول وبخوف، وكنا جميعنا ننظر إليها باستغراب!

سألتهم:

- من هذه الطفلة؟

أجابت صوفيا بدهشة:

- لا أعلم!

وعطس لوكاس وأحمرّت عيونه، فعرفت بأنه لا يعلم!

تقدمت من الطفلة بكل هدوء، ومسحت على شعرها بحنان، وداعبت خدها القرمزي الناعم، وقلت:

- من أنت يا صغيرة؟

نظرت إلي بخوف، وبدأت دموعها تتساقط، كليلة شتاء عاصفة، وقالت:

- أريد أمي، أين أمي؟

يا إلهي، إنها ضائعة! كيف دخلت إلى هذا القصر!

فجأة سمعت صوت خطوات مسرعة، تأتي من الخارج. دخل من باب القصر رجل طويل، أسمر البشرة، شعره مجعد، عيونه واسعة، يرتدي ملابس رثة، وقال بغضب:

- من أنتم؟ وكيف دخلتم إلى القصر؟

قلت له، وأنا أعيش وسط دوامة ضياع:

- من أنت يا سيد!

قال بنبرته الجادة نفسها:

- أنا من أحرش هذا القصر! أجيبوني من أنتم؟ وكيف دخلتم إلى هنا!

بدأت الطفله بالبكاء، وبدأ لوكاس يعطس دون توقف، وصوفيا تنظر إلي بخوف وبرهبة.

ذهبت، وأمسكت بالطفلة من يدها، وقلت بحزم:

- لابدّ أن نغادر هذا المكان الآن!

تقدّمت نحو الباب، ولم أستطع إكمال خطواتي! شعرت ببرد قارس، ورأيت بلّورات ثلجية تدخل من أسفل باب القصر.

فتحت الباب بيدٍ مرتجفة، وذُهلت! إنني أرى عاصفةً ثلجية شديدة الرياح والبرودة، المنطقة بأكملها مغطاة بالجليد! كيف حدث ذلك في بضع دقائق! وكيف يزورنا الثلج لأول مرة في تاريخ هذه البلدة!

https://t.me/pdfstore

أغلقنا الباب بإحكام، وكأننا نغلق أبواب الجحيم، ولكن في هذه المرة، كان الجحيم جليداً وبرداً قارساً!

ألقيت نظرة على الحاضرين، كانوا مصدومين ولكنّ أجسادهم لا ترتجف مثلي! أشعر بالبرد وكأن الطبيعة غاضبة مني، وهناك حسابات عسيرة بيني وبينها!

جلبنا قطعة قماش سميكة، ووضعناها تحت الباب، لعلها تساعد في صدّ الثلج الداخل من الخارج!

- هناك كومة أخشاب نضعها في الطابق السفلي، لا نستخدمها أبداً، قد تساعدنا في التدفئة!

قالها حارس القصر، فقلت له موافقاً:

- نعم، نعم! اجلبها من فضلك، ولكن ما اسمك؟

أجابني بريبة:

- اسمي جايكوب! سوف أذهب الآن!

تقدّمت صوفيا، وقالت بخوف:

- لابدّ أن نغادر هذا المكان في الحال! أشعر بأنّ الخطر يحوم فوق رؤوسنا!

عطس لوكاس، وقال موافقاً:

- نعم، نعم! أشعر بالضيق من زوايا هذا القصر الملعون!

بدأت الطفلة بالبكاء من جديد، وشعرتُ بأنني أختنق من كلماتهم الطائشة، فذهبت إلى الطفلة، محاولاً تهدئتها:

- كيف لكِ أن تبكي يا طفلتي؟ وأنت بهذا القدر من الجمال والقوة؟

مسحت دموعها اللؤلؤية، ونظرت إليّ بوجه حزين، فلثت لها مبتسماً بود:

- لم تعزفيني عليك، ولا على صديقتك. أشرتُ إلى ذميتها.

قالت بروح بريئة وساحرة:

- أنا روز، وهذه صديقتي جوانا.

- ومن يكبر الآخر في السنّ؟

نظرت إلى دميتها لثانية، ومن ثم قالت لي بكل ثقة:

- أنا أكبرها بعامين.

- إذن عليك ألاّ تبكي! وأن تُشعريها بالقوة، وإلا سوف تعلم بأنها في خطر! سوف أذهب وأتحدث مع أصدقائي، وبعدها سوف نتكلم عن أي شيء تريدينه، اتفقنا؟

قالت وهي مبتسمة بوجهها العذب:

- حسناً!

أخذتُ صوفيا ولوكاس إلى زاوية منعزلة، وبدأتُ أتهزهم:

- ألا تستطيعان أن تفكرا بعقليكما؟ كيف تريدان أن نخرج في هذه العاصفة؟ من سيتجرأ ويخرج؟، أراهن بموته إن فعل!

لم ينطقا بأية كلمة! فأخرجت صوفيا هاتفها النقال، وقالت بكل بؤس:

- لا توجد إشارة هنا! حاولوا من خلال هواتفكم الاتصال بالخارج.

أخرج لوكاس هاتفه، ونظر إليه، وكعادته عطس! حالته في تراجع مستمرا وأخشى عليه من مضاعفات غير معلومة!

نظرتُ إلى هاتفي، والنتيجة واحدة! لا توجد إشارة.

جلب الحارس الأخشاب، ووضعها في المدفأة. سرعان ما بدأ الدفء يتغلغل في أجسادنا.

هناك العديد من الأشياء التي لا أجد لها تفسيراً حالياً! أولها صاحب الدعوة، ترى من هو؟ ولماذا تم إحضارنا نحن بالذات إلى هذا المكان؟ ماهو السر المختبئ خلف لوكاس وصوفيا؟ كنت سأذهب إلى الحارس كي أخرج ما بجعبته من معلومات، لربما تساعدني في فهم ما يجري هنا! ولكني قررت أن أتحدث مع الطفلة روز! تحدثت معها لفترة طويلة! قالت بأن أبوها اختفى من حياتها، فعلمت بأنه هجرها! وأمها جلبتها إلى هذا المكان، وأوهمتها بأنه متحف علمي! هذه الطفلة صغيرة في السن، ولكنها تمتلك عقلاً ناضجاً! وليس هناك عيب لو بكت وأنزلت دموعها! من الجيد أن نشعر بالخوف بين الحين والآخر، ولابدّ أن نبكي أحياناً، فدموعنا تُرهم جروحاً في داخلنا، وتفتح آفاقاً جديدة للفرح، وأبواباً لأملٍ يتشكّل في قادم مستقبلنا.

وجّهتُ نظري إلى الحارس، إنهُ حتى الآن يضع الأخشاب في مكانها. وقفتُ بجانبه، وقلت:

- جايكوب! من هم أصحابُ هذا القصر؟

انتبهتْ إلى صوفيا ولوكاس، كانا يريدان أن يسمعا جوابه! تردد جايكوب في البداية، وزاد توتره عندما سمع لوكاس يعطس عدة مرات، فقال مرتبكاً:

- هذا القصر غريب! لم أرَ مالكهُ قط، إنه ملك لمجموعةٍ أشخاص، أخذوهُ عن طريق الوراثة الشرعية، يصلني راتبي الشهري، مع باقي مستلزمات الحياة في هذا المكان مع أشخاص يتغيرون بداية كلّ شهر! لديهم قوانين صارمة، وأولها عدمُ السماح لي بامتلاك هاتف نقّال، وأعتمدُ فقط على هاتف القصر الأرضي، وأملك رقم شخص ما، قال لي بأنه يديرُ حسابات أصحاب القصر، لأنهم أثرياء، ولديهم العديد من الأملاك، ولكن للأسف لا نستطيع أن نتصل به، لأن لا يوجد إشارة في هواتفكم!

فجأة تغيرت ملامح لوكاس، كان يريد أن يتغلب على حالته الخاصة، يحاول دون ملل، ولكنه يفشل دوماً! فعطس وقال:

- وكيف تعلم بأننا لا نملك إشارة في هواتفنا؟ رغم أنك كنت موجوداً في السرداب لجلب الأخشاب؟

سؤال لوكاس جعلَ عيوني تتسع دهشةً! فحوّلنا أنظارنا أنا وصوفيا إلى الحارس، الذي بدأ وجهه يكشفُ بأنه يكذب!

- لقد رأيتُ بأنه لا توجد إشارة في هاتفي، هذا كل مافي الأمر!

قالت صوفيا بنبرةٍ متحذية:

- دعنا نرى هاتفك!

لاحظتُ ازدياد التوتر على وجه الحارس، شعرتُ بأن الأدرينالين ينتشر وسط دمه، وكأنني أسمعهُ يقول من داخله: هل أهربُ منهم وسط هذه العاصفة الثلجية، أم أواجههم بالحقيقة؟ أجاب بنبرة غاضبة:

- ولماذا تريدينني أن أريك إياه؟ لماذا كل هذا التحقيق؟

اقتربت صوفيا منه خطوتين، وقالت:

- لأنك قلت بأنّ أصحاب القصر لا يسمحون لك باستخدام هاتف نقّال، أنت تكذب يا هذا! وتمتلك إجابات عن كلّ ما يجري هنا!

- نعم يا سيّد، أنت قلت بأنك لا تملك هاتفاً نقّالاً، الكذب صفة غير حميدة، أمي علّمتني هذا!

قالتها الطفلة روز بكل براءة. حاصرتاه نحن الأربعة من كل اتجاه، فبكى مثل الأطفال، وقال بحرقة:

- إنني أعاني الكثير في هذا القصر! نعم لقد كذبت، وأنا لا أملك هاتفاً، ولكني كنت أتنصّت عليكم، وسمعتكم تقولون بأنكم لا تجدون إشارة في هواتفكم الشخصية!

اقتربت منه، وأمسكته من قميصه، وقلت غاضباً:

- اسمعني يا هذا! هل تعرف من أكون؟ أنا ماتيو روبرت، لن تستطيعوا أن تجرّوني بهذه الخزعبلات إلى تصديق خرافات وأكاذيب! كل مايجري هنا خدعة! نحن نعلم بأن هذه البلدة لا يزورها الثلج، كل مايحدث هنا ما هو إلا خدعة! وسوف تكشف لنا من يفعل كل هذا بنا!

بدأ يضحك بشكل هستيري، وقال وهو يقرّب فمه من أذني:

- لا أعلم من تكون يا سيد ماتيو!، ولكن نحن مقبلون على أيام سوداء! والثلج أول علامة على ذلك! وحكايات الأجداد تثبت هذا! هذه العاصفة... ملعونة!

قالها، وانطفأت أنوار القصر جميعها!

أضأنا الشموع الموجودة بكثرة في القصر، وساد السكون بيننا.

الطفلة روز تجلس وحدها برفقة ذميتها، صوفيا تنثر حبر قلمها على كتابها المنتظر، هل بالفعل وجودها هنا سوف يفيدها؟

أما لوكاس فكان يعطس باستمرار حتى وهو غارق وسط أحلامه، إنني أشفق على حالته أكثر من الطفلة روزا

الحارس جابكوب يجلس وحيداً في زاوية، ويتمتم بكلمات غير مسموعة! أعتبرة الحالة الشاذة والغريبة في مجموعتنا.

- سوف أقوم بجولة سريعة في القصر.

قلتها، ولم يعرني أحد أي إهتمام! أخذت شمعة معي، وقررت أن أبدأ الاكتشاف من القسم العلوي.

صعدت الدرج الطويل، وفي كل خطوة كنت أشعر بأنفاس غريبة آتية من خلفي! أنفاس كريهة وحادة! التفت إلى الاتجاهات كلّها، وحاولت أن أجعل معتقداتي الكبيرة سلاحي الأمضى في مواجهة الغرائب في هذا المكان!، كنت واثقاً بأنّ هناك تفسيراً لما يحدث، وسوف أكتشفه قريباً.

وجدت الكثير من الغرف في ممر الطابق العلوي، وضعت الشمعة في زاوية ما من المكان، الغبار في كل مكان! وكأنّ القصر تمّ هجرة منذ سنين طويلة!

بين الغرفة والأخرى، هناك طاولات فاصلة، وعلى كل طاولة، هناك فازة تحتوي على ماء آسن يميل إلى اللون الأصفر! وورود ذبلت منذ زمن!

لا أعلم لماذا، ولكن هناك غرفة جذبت حواسي كلّها! وقررت أن أدخلها! مددت يدي والرعشة تسري في أنحاء جسدي. أردت فتح الباب، ولكنه كان مقفولاً!

كنت سأجرّب الدخول إلى غرفة أخرى، ولكني سمعت صوتاً غريباً يخرج من الغرفة المقفولة!

وضعت أذني على الباب! فسمعت صوت دبيب! أنا واثق بأن هذه الغرفة ليست خالية!

- هل هناك أحد في الخارج؟

جاءني هذا الصوت من الداخل، همساً امرأة مسنة، بالكاد تستطيع أن تتكلم.

- نعم يا سيدتي، هل تريدين المساعدة؟

سمعتها تبكي! وتتألم من شيء ما! يا إلهي! ماهو سر هذا القصر الملعون؟. لم أفكر كثيراً، فضربت الباب بكل قوتي! مرة تلو الأخرى، إلى أن فتحته.

لم أرَ شيئاً في الظلام، رغم وجود الشمعة في يدي.

- ساعدني أرجوك! إنهم يعذبونني!

وجدت شمعة أكبر تحت قدمي، فحملتها وأضأتها من قبس الشمعة الأولى، فرأيت سريراً في منتصف الغرفة، الغبار يغطيه بغزارة، والفئران تسير بحرية فوق جسد شخص يرقد تحت اللحاف.

كنت أسمع بكاءها الحزين في نبرات صوتها المجروح. اقتربت منها بحذر قائلاً:

- سيدتي، أنا هنا لمساعدتك!

وضعت يدي على اللحاف، وسحبته ببطء، فرأيت امرأة مسنة تقفز من مكانها، وتمسكني بقوة! شعرها طويل وأبيض، وجهها مجعد، أسنانها صفراء وغير مكتملة، نحيلة الجسد، وعيونها حمراء، وكأنها لم تنم منذ سنوات!

سقطت أنا والشمعة الكبيرة على الأرض.

نهضت بسرعة، ودقات قلبي تتسارع بشكل مجنون! نظرت إلى السرير،لم أجد أحداً! يا إلهي أين ذهبت!

كنت أريد المغادرة سريعاً، التفت، فوجدتها تقف أمامي، ينعكس ضوء الشمعة على وجهها، فيرسم عليه بشاعة ورعب لم تشهدهما عيني من قبل!

أمسكتني مرة أخرى بكل قوتها من سترتي، وقالت بصوتها المرعب، الذي كان أشبه بصوت وحش أفاق من شباته:

- سوف أقتلكم يا خونة! سوف أحرقكم وأنتم أحياء!

دفعتها بقوة، وسمعت صوت ارتطام جسدها الضعيف بالأرض. انطفأت شمعتي، فركضت خارج الغرفة، هارباً من هذا الوحش المرعب!

نزلت راكضاً على الدرج، فاختلّ توازني وسقطت، وتدحرج جسدي من الأعلى إلى الأسفل، صرخت بأعلى صوتي، إثر شعوري بألم كبير في ساقي.

تجفعوا حولي مذهولين! حملني الحارس جايكوب، وجعلني أستلقي على إحدى الأرائك الكبيرة.

- ماذا حدث لك، يا سيد مانيو؟

سألتني صوفيا، وبدأ لوكاس بالقطاس، وبكاء روز زاد من ألمي! كنت أشعر بأن روحي سوف تخرج من جسدي! ألمٌ لا يُحتمل في رجلي اليمنى.

بدأ الحارس جايكوب بمعاينة وضعي، حزّك جزءاً بسيطاً من رجلي؛ فصرخت عالياً، وتذوّق فمي طعم دموعي المنهمرة، قال بكل حسرة:

- رجلك مكسورة يا سيد مانيو! سوف أجلب لك بعض قطع الثلج لتسكين الألم!

ذهب، وبدأ التحقيق معي، قال لوكاس والعرق يتساقط من جبهته بغزارة:

- ماذا حدث لك يا سيد مانيو؟

- لماذا كنت تجري بهذه الطريقة؟ وكأنّ هناك من يلحق بك! سألتني صوفيا.

قلت بصعوبة، والألم يعتصر قلبي:

- هناك امرأة تسكن في الأعلى، مخيفة وبشعة! لقد هاجمتني، وكانت تريد قتلي!

كست الصدمة وجوههم، حتى الطفلة روز شعرت بالخوف، وبدأت تعصر ذميتها، وتقزبها من خصنها الطفولي.

كان لوكاس يريد أن يتكلم، ولكنه بدأ يعطس من جديد، فقالت صوفيا دون مبالاة:

- أنت تزعجنا يا لوكاس بحالتك الغريبة، اذهب ونل قسطاً من الراحة.

ضدم لوكاس من وقاحة صوفيا، فذهب مبتعداً عنا، اقتربت الطفلة مني، وقبلتني بحنان، ووضعت ذميتها على حضني، وقالت:

- سوف تحميك يا صديقي! وسوف تشفيك!

ابتسمت لها وقبلتها، فقالت لي صوفيا:

- هل بدأت ثهلوس يا سيد ماثيو؟ هذا القصر لا يسكنه أحد! كيف تقول بأنك رأيت امرأة في الأعلى!

كنت لا أستطيع تحمل المزيد من الضغط، فصرخت عالياً:

- أخبرتكم ما رأيت! وإن لم تصدقيني، اذهبي وسوف ترين بنفسك!

رمقتني بنظرة غريبة! ثم توجهت إلى الأعلى! عاد الحارس جايكوب وبيده كمية من الثلج، وضعهم على رجلي؛ فصرخت من جديد! لا أعلم مايؤلمني أكثر، كسر رجلي، أم برودة الثلج!

نظر إلي، وقال بتوتر:

- ما العمل يا سيد ماثيو؟ كيف سننقلك من هذا المكان بهذه الظروف؟ لابد أن نعالج كسر رجلك!

فكرت كثيراً، وعرفت بأنه لا يوجد حل لمشكلتي، فقلت له مطمئناً:

- لا تقلق جايكوب! سوف نجد حلاً.

فجأة! بدأت تظهر على لوكاس حالة هلع جديدة، سقط على الأرض، وظلّ يعطس دون توقف! فركض الحارس جايكوب نحوه، رفع رأسه، وأمسك يده، وقال له:

- انظر إلي يا سيد لوكاس! لا داعي للقلق، أنت بخير! لا يوجد سبب واحد للهلع، سوف تختفي هذه العاصفة الثلجية، وينتهي هذا الأمر.

ركضت الطفلة روز باتجاهي، واحتضنتني بقوة، وبدأت تبكي!

فأكمل الحارس جايكوب مواساة لوكاس قائلاً:

- بالتأكيد، هناك من ينتظرك في المنزل، وسوف يفرح لرؤيتك من جديد، أليس كذلك؟

هدأ لوكاس، واستعاد حالته الطبيعية، وقال وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة:

- لا أملك إلاّ قطتي!

ضحك الحارس جايكوب، وقال:

- أتوقع بأنها مشتاقة إليك يا صديقي.

فضحك لوكاس، وتوقف بكاء الطفلة روز لوهلة، شعرت بحلول ضيف اشتقنا إليه منذ فترة، فقد طال غيابه، وحضر بعد سفر طويل...إنه الهدوء!

ولكن للأسف، هذا القصر لا تعجبه السكينة ولا الأجواء المريحة.

سمعنا صوت أقدام قوية تنزل من الأعلى، رفعت رأسي ورأيتها! تلك المرأة المسلة! يا إلهي! هل ازداد رعب وجهها؟ شعرها أصبح أطول وأكثر بياضاً، فمها توسع بشكل غريب، حاملاً معه ابتسامة مرعبة تجهض النساء الحبالى! لقد كانت تحمل رأس صوفيا المقطوع! تمسكه من الشعر الأشقر اللامع!

تجمدنا في مكاننا، وصرخت روز بأعلى صوتها، وبدأ لوكاس يعطس، وجايكوب يهمس بكلمات غير مسموعة! أما أنا! فبقيت كالصنم، عيوني ترى شيئاً، وعقلي لا يريد تصديقه. لم أكن أشعر بألم ساقي المكسورة، لأن ألمي البصري كان أشد فتكاً!

نزلت المرأة من الأعلى، وذهبت نحو الدرج المؤدي إلى الطابق السفلي، واختفت هناك!

# - 7 -

استيقظت من نومي، كنت مستلقياً على الأريكة، أشعر بثقل كبير في جسدي، وألم ساقي المكسورة يصل إلى أقصى مدى من الألم!

كنت أبحث عن الجميع! ولكني لم أجد أحداً! حتى الطفلة روز لم يكن لها أثر! لماذا المكان مظلم بهذا الشكل؟ هناك شمعة صغيرة أمامي، موضوعة على الطاولة، أين بقية الشموع؟ وأين الجميع؟

- مانيو... هل تؤمن بنا؟

من أين جاء هذا الصوت؟ إنه مألوف! نعم! لقد سمعته عندما حلمت قبل أيام بذاك الكابوس المخيف!

حاولت أن أنهض، ولكن تباً لألم رجلي العاجزة! قلبت الشمعة مني! وكنت أقول بأنها أوهام! تحلّ بالقوة يا مانيو! فأنت مؤمن بأن هذا العالم المخيف، ليس إلا كذباً وخدعاً بصرية!

تحركت الأريكة بشكل مفاجيء! صرت أذهب يميناً وشمالاً، أتمسك بها، كأنها قارب شارف على الغرق!

فجأة ظهرت لي الفتاة نفسها، التي رأيتها في الكابوس القديم! لا أرى فيها أية ملامح! سوى عيونها المشعة، تمسك بشمعة، شعلتها كأبواب الجحيم:

- هل تؤمن بنا؟

لم أتحرك! ولم أنفوه بأية كلمة! صرت أردد لنفسي بأنه حلم لا أكثر! اقتربت مني، وشعرت بحرارة حارقة تخرج من جسدها المرسوم بجمال خلاب! وضعت يدها بقوة على رجلي المكسورة، بدأت أصرخ، وهي تستمتع بتعذيبي، وتردد الجملة ذاتها:

- هل تؤمن بنا؟

لا أستطيع تحمّل هذا الألم! ولكنّ روحي لن تجزّها رياح الجنون والاختبال، فقلت صارخاً:

- إنني أحلم! وإن كان هذا الموقف واقعياً، فإنني لن أؤمن بهم أبداً!

توقفت عن تعذيبي، وأخرجت شيئاً من جيبها، زجاجة بداخلها حفنة تراب تميل إلى اللون الذهبي المشع! أخذت حبات قليلة منه، ونثرتها على رجلي المكسورة، وهنا شعرت بأن روحي سوف تخرج من جسدي، الألم لا يطاق، رحت أصرخ، وأناشد جايكوب ولوكاس وروز المساعدة، حتى صوفيا التي رأيت رأسها مقطوعاً، كنت أنادي باسمها! ضحكت المخلوقة المخيفة قائلة:

- تذكّر هذا المعروف! وسوف تؤمن!

عدت إلى رشدي وأنا مستلقٍ على الأريكة! ماذا يحدث؟ لماذا لا أشعر بألم رجلي! لمستها وتفحصتها، ولكني لم أجد أي كسر أو جرح! كنت مذهولاً من حالي! هل ما رأيته حقيقي؟، ولم يكن حلماً؟

- كيف تشعر الآن، يا سيد مانيو؟

قالها لي جاكوب مبتسماً، فقلت له مستغرباً:

- ماذا حدث لي؟ ومن عالج رجلي؟

نظر إلي بطريقة غريبة، وقال وهو عاقد حاجبيه:

- لا أفهم ماهو قصدك؟، ولكن عندما رأينا رأس المسكينة صوفيا وهو مقطوع، فقدناك لعدة ساعات، لقد أغمي عليك!

ماذا! لا أتذكر مايقول! متى أغمي علي؟! قلت له:

- ورجلي؟

- ماذا عنها؟ قالها وهو يشعرني بأنني مجنون، فقلت غاضباً:

- لقد كسرت رجلي وأنا أنزل من الدرج! وجلبت لي الثلج من الطابق السفلي، والآن أصحو من نومي وكأنه لم يحدث أي شيء، من عالجني؟

جاء لوكاس من البعيد، وقال عاطساً:

- إنك تمر بمرحلة الصدمة يا سيد ماتيو! فأنت نزلت من الطابق العلوي، ولم تشتك من أي علة! وعندما رأينا صوفيا، أغمي عليك!

مايحدث الآن لا يمتُ إلى الحقيقة بصلة! ماذا يحدث! هل من المعقول أن يكون كلامهم صحيح؟ أنا متأكد بأن رجلي قد كسرت! كيف يحاولون إقناعي بأنها صدمة وأوهام؟ قررت عدم الرد عليهم، وأوهمت نفسي بأن كلامهم كله صحيح، فذهبوا بعيداً، كل واحد منهم جلس في زاوية!

هناك العديد من الأشياء لابدّ من أن تتوفر في حياتنا، لكي نشعر بالطمأنينة، الأمان، مثل أشعة الشمس! أجواء دافئة! صحبة ممتعة!

ولكننا لا نشعر بأيّ شيء من هذه العناصر! الخوف يحطم الأمان، ومن المستحيل أن نشعر بالشمس، بسبب قوة العاصفة الثلجية في الخارج، وإن لم يكن هناك عاصفة، فالقصر لا يحتوي على أية نوافذ! وهذا شيء لا أجد له تفسيراً! وصحيتنا مبعثرة! فجميعنا غرباء! والأحاديث التي تجري بيننا، ماهي إلا أفكار، لربما تُخرجنا من هذا المأزق!

تركت الطفلة روز تنام على الأريكة، ووضعت دميتها بين أحضانها لكي تشعر بالأمان، لقد بكت كثيراً! إنها تعيش واقعاً يتخطى عمرها بمراحل!

لقد كان إحساس الصدمة والذهول حاضراً بقوة بيننا! الجميع يمتنع عن نطق أية كلمة! بدأنا نشعر بالضياع! وكانت برودة العاصفة تشلُ عقولنا، فأنا الآن لا أعرف كيف أفكر أو ماهي الخطوة القادمة التي علي القيام بها! تباً لهذه الدعوة الغامضة للحضور إلى هذا القصر! وتباً ألف مرة لي لقبولي بها!

- ما العمل الآن؟

قالها لوكاس وهو يعطس، فقلت مفكراً:

- علينا التوجّه إلى الطابق السفلي! لابد أن نكشف سر هذا القصر، ومَن هذه المرأة التي قطعت رأس صوفيا. يا لغبائي! أنا السبب! فلو لم أقل لها أن تذهب للأعلى وتتفحص الأمر لكانت حية تُرزق الآن!

قال لي لوكاس مواسياً:

- لا تقل ذلك يا سيد ماتيو، فما يجري بين جدران هذا القصر، خارج عن إرادتنا.

قال الحارس جايكوب متوتراً:

- قلتها سابقاً! مايجري لنا الآن هو لعنة! والعاصفة الثلجية أكبر دليل على كلامي، أحاديث الأجداد القديمة أصبحت واقعاً!

دائماً ماكان حديث هذا الرجل غريباً! قلت له:

- ماذا تقصد يا جايكوب؟

وقف أمام الأخشاب المشتعلة في المدفأة، ولمعت عيناه، وهو يروي الحكاية:

- عائلتي كانت لا تملك منزلاً، كانوا يعيشون بين غابة وغابة مجاورة لها. حياتهم بدائية جداً، لم يكونوا يتميزون بشيء إطلاقاً! يصطادون حيوانات الغابة كطعام لهم. وفي آخر الليل يشعلون النيران، ويجلسون ويتبادلون الحكايات الغريبة! فقط لتسلية أنفسهم! ولكن كان هناك شخص واحد يميز مجموعتهم وهو كبيرهم! السيد ماخيل! فمن تخطى مائة عام! لكنّ ملامح الشباب والقوة والحكمة، لم تزلها سنوات عمره الطويلة!

في إحدى الليالي، طلبوا منه حكاية مرعبة وغريبة! فرفض، لأنه لا يهتم لأحداث الماضي، بل يعشق المستقبل وتفاصيله! قال لهم بأنه يعرف نبوءة سمع بها منذ نعومة أظفاره! وهو متأكد من أنها سوف تتحقق يوماً ما!

كانت النبوءة تقول: بأن أصحاب الأرض سوف يغضبون! وسينزل كل سيد على الأرض لنشر غضبه المخيف على المشككين والمكذبين بوجود الأسياد! سيحوّلون النهار إلى ليل دامس! وسيدخلون البرد القارس إلى أجساد المشككين، وسيشلّون عقولهم عن التفكير! وستصبح الدنيا مقلوبة الحال مع هؤلاء! وهذه هي حكاية النبوءة! وأنا أثق تماماً بأنها قد تحققت!

لم أكن أريد أن أبدو وقحاً! ولكني قلت ضاحكاً:

- هل جننت يا جايكوب؟ هل أنت واعٍ لما تقوله؟

نظر إليّ جايكوب، وقال بوجه صارم:

- العاصفة الثلجية ضربت مدينتنا الدافئة التي لا تعرف الثلج! ومايحدث هنا لا يستوعبه أي عقل! فما تفسيرك للأمر يا سيد ماتيو!

لم أجبه! لأنني علمت بأنه مختل عقلياً! عكس لوكاس الذي قال مستفزاً:

- لو كان كلامك صحيحاً، فما ذنبنا نحن الثلاثة! أقصد الأربعة... آه يا صوفيا المسكينة!

قال جايكوب متوتراً:

- لا أملك الأجوبة الكافية يا سيدي!

كنت أريد أن أعرف إجابة تؤرقني! فقلت مستفزاً:

- جايكوب! لماذا هذا القصر لا توجد فيه نوافذ؟

لا أعلم ماهو السبب الذي جعله يتوتر بطريقة مريبة، قال:

- أنا....السبب هو... في الحقيقة كانت رغبة من صاحب القصر، ولا أعرف كيف كان يفكر عندما جعله بلا نوافذ.

قفز لوكاس، وقال غاضباً:

- أنت حارس القصر، وفي كلّ مرة نسألك، تُراوغ وتتعقد إثارة حيرتنا أكثر، أنت تُخفي سراً ما يا جايكوب.

وجّه لوكاس اتهاماته لجايكوب، وبدأ يعطس كعادته، ولكنّ جايكوب بدأ يصرخ هو الآخر، ودخلا في شجار جديد.

قررتُ أن أوقف هذه المناقشات الغبية، وقلت:

- كفاكم تفاهات يا سادة! احترموا عقولكم الكبيرة! فمن سوف ينزل معي إلى الطابق السفلي؟

عرفتُ من سكوتهما بأنهما خائفان! فقلتُ حازماً:

- إذن سوف أذهب وحدي، وأنا متأكد بأننا نعيش تحت رحمة مزحة من شخص ما. لا تتركوا الطفلة روز لوحدها! فهذه الطفلة سئمها من سز هذا المكان الغامض!

تقدمت نحو باب الطابق السفلي، ممسكاً الشمعة في يدي. خطوات تملؤها القوة والثقة، ولكن من داخل أعماقي، كان هناك خوف، مم... لا أعلم!

فتحت الباب، ودخلت إلى ممر مظلم! مشيت بضع خطوات، إلى أن نزلت عن طريق السلم الخشبي، الذي يصدر أصواتاً مرعبة كلما ضغطت عليه بأصابع قدمي. بدأت أتساءل بيني وبين نفسي، كيف لهذا القصر أن يكون في قمة الفخامة بتفاصيله جميعها، ويبقى الدرج المؤدي إلى الأسفل، منهالكاً على هذه الهيئة الغريبة؟!

مع كلّ خطوة أخطوها، كنت أسمع صدى ضحكات غريبة تحبس أنفاسي، وتدخلني في عالم أوهام لا أؤمن بها! حاولت قدر ما أستطيع أن أكمل مسيري دون اعتبار لما سيحدث!

وصلت إلى الأسفل، وزاد استغرابي! أتمنى أن أجلس مع صاحب القصر، لكي أعرف لماذا صممه بهذا الشكل! فلغز عدم وجود أية نوافذ يقلقني! والآن أرى بأنّ هذا السرداب لا يحتوي إلا على ثلاث غرف! هناك غرفة على اليمين، وأخرى على اليسار، ولكنّ حدسي جعلني أذهب إلى الغرفة الثالثة المقابلة لي، كان يشعّ منها ضوء أخضر، يخترق عيوني ويتعب نظري.

وضعت الشمعة جانباً، ودفعت الباب بقوة، ولكنه فُتح بسهولة!

دخلت، وسمعت صوت الباب يغلق من تلقاء نفسه! لم أبالِ له إطلاقاً، لأنّ ما أراه أمامي، جعلني أتجمد في مكاني! الغرفة كبيرة جداً! ومداها يصل إلى نقطة بعيدة لا أراها! لا يوجد فيها أية إضاءة، سوى اللون الأخضر الذي لا أعرف من أين يخرج!

رأيت العديد من الأجساد المحنطة، منتشرة بكثرة في المكان! لكنّها غريبة بشكل لا يصدّق! بدأت أشعر بأنّ بالحياة تجري في هذه الأجساد!

رحت أمشي بينهم بحذر، وسمعت همسات لا أعرف معناها!، صرخات، وآهات، استغاثات حزينة وغامضة!

لا أعلم لماذا وقفت أمام هذا الصنم، إنه لامرأة! تفاصيل وجهها تربكني! أرى دموعاً تنزل من عيونها بغزارة! يا إلهي كيف لصنم أن يبكي! وكأنها تشرح حالات ومشاعر البشر في كثير من شؤونهم. كأنها تقول: يأتي علينا وقت يجرحنا فيه البشر من حولنا، ويقسون فيه علينا، ونبكي، ونسهر إلى أن تأتينا لحظة نتحوّل فيها إلى أصنام! مهما جرحونا لا نشعر! مهما قتلوا أحاسيسنا، فإننا نبكي ونحن نبتسم في آنٍ معاً، نعم! حبّنا للبشر يجعلنا كالأصنام!

وضعت يدي على المرأة الصنم، فتحركت عيونها، وتحولت إلى اللون الأحمر المشع، زاد بكاؤها وقالت صارخة:

- أنقذنا من هذا السجن، لقد لعنونا وحبسونا هنا!

سقطت أرضاً من هول الموقف!، وتراجعت بضع خطوات. بدأ العرق يتصبّب من جبهتي بغزارة، وشعرت بارتفاع كبير في حرارة جسدي!.

وقفت من جديد؛ فرأيت أنّ الصنم قد عاد إلى حالته الطبيعية! هل بالفعل بدأ هذا المكان يؤثر على عقلي وحواسي؟

أكملت مسيري بين الأصنام، وإلى الآن مازلت أسمع تلك الهمسات الغريبة، وأشعر بوجود أشخاص غيري في هذا المكان، عقلي يقول بأنني لست وحيداً!

- سيد هاتيو؟

سمعت صوتها! إنها صوفيا! هل هي على قيد الحياة؟ بدأت أصرخ عالياً:

- صوفيا... أين أنت؟

بدأت أركض بين الأصنام، وهذا الضوء الأخضر اللعين، يسلّط عليّ، ويشوّش رؤيتي!

- ساعدني...أرجوك. قالتها منادية وراجية، فأسرعت خطواتي، وبدأت أشعر بالدوار من كثرة عدد الأصنام التي أعبرُ بينها.

يا إلهي لقد وجدتُها! إنها تستلقي بجسدها المتهالك عند آخر زاوية في الغرفة. عندما رأيتها تجمّدت في مكاني! رأسها لم يكنْ مقطوعاً! ولكنّ جسدها تملؤهُ الجروح!

نظرتْ إليّ مبتسمة، وكأنّ الأمل عاد إليها من جديد، واختفت ابتسامتها فجأة، وهي تنظر باتجاه رجلي، وقالت مستغربة:

- رجلك؟ أنا متأكدة بأنها كانت مكسورة! يا إلهي، أنت روح شريرة تتشكّل بالسيد ماتيو! أرجوك، ابتعد عني لا تؤذيني!

إذن كنتُ على حق! رجلي بالفعل كانت مكسورة! كنتُ أريد أن أثبت لها بأنني ماتيو! كنتُ سأساعدها على النهوض، ولكني سقطتُ أرضاً، إثرَ ضربة موجعة تلقيتها على رأسي!

لم أفقد الوعي تماماً، كنت أنظرُ بنصف عين، لقد كانت موجودة! إنها فتاة أحلامي الشريرة! من عالجت رجلي المكسورة، تنتزُ فوق رؤوسنا رمالاً حمراء داكنة كأنها سوداء، وتردد بصوت أقرب للهمس:

- بالأمس لم يؤمنوا، واليوم يدخلون في دائرة الشك! يا رمالَ السحر والعشق، حوّلي أفكارهم وقراراتهم! ودعيهم يتذوقون عذاباً، لن يستطيعوا تحمّلَهُ!

https://t.me/pdfstore1

حملت صوفيا على ظهري، كنت خائفاً عليها بطريقة غريبة! وكأننا نرتبط بعلاقة ما! شعور لم أشعر به من قبل! ينفطر قلبي ألماً وأنا أراها تشعر بألم في جميع أنحاء جسدها! لا أعلم ماذا فعلوا بها، ومن هؤلاء الذين يتلاعبون بنا بهذه الطريقة! ولم أستطع تفسير كيف أننا رأيناها سابقاً مقطوعة الرأس!، وأخيراً، لا أستطيع تفسير السبب الذي جعل تلك المرأة المرعبة تضربني بهذه الطريقة! وماهي الطقوس الشاذة التي أجرتها علينا؟ انقطع حبل أسئلتي، عندما وصلت إلى الطابق العلوي. ركض لوكاس وجايكوب نحوي، وحملنا صوفيا. نظرت إلى الطفلة روز، عيونها كانت حائرة! غارقة في الدموع، وكانت تصيح راجية:

- أريد أمي!

تباً لوالدتها صاحبة القلب الصلب! كنت أريد أن أذهب إلى روز وأحضنها بقوة، ولكني قررت أن أهتم بحال صوفيا، المستلقية على الأريكة.

غطاها لوكاس باللحاف، وعطس في وجهها دون قصد، وقال مرتبكاً:

- مانا حدث يا سيد مانيو؟ وكيف لصوفيا أن تكون على قيد الحياة؟

- نعم! لقد رأينا رأسها مقطوعاً! هذه ليست صوفيا! قالها جايكوب مصدوماً!

كنت أشعر بالتعب، وكأن رأسي سينفجر، فقلت بهدوء:

- كل ما يحدث هنا له تفسير علمي أو بشري! اتركوا الأوهام جانباً! هذه صوفيا! وجدتها في الأسفل! عندما وصلت، وجدت ثلاث غرف! ذهبت نحو واحده كانت تشع باللون الأخضر! دخلت ووجدتها ملقاة على الأرض.

نظر إلي الحارس جايكوب، وقال مستغرباً:

- لا يوجد غرفة فيها ضوء أخضر في الطابق السفلي! ولو كان كلامك صحيحاً، فكيف تراه مع عدم وجود كهرباء في القصر؟!

قلت له دون اكتراث:

- لا أملك أي جواب يا جايكوب! هذا ماحدث!

تحرك لوكاس، وأمسك بيد الطفلة روز، فقلت له:

- أين أنت ذاهب بها؟

- سوف نتفقد الطابق السفلي، لا أريد إبقاء الطفلة هنا، لربما تستطيع أن تنجو بنفسها من هذه التجربة المرعبة والغامضة التي نعيشها حالياً!

كان يتكلم عنها وكأنها ليست موجودة! ولا تفهم كلامه! فلم أقل له أي شيء! لا أريد أن أفكر بشيء جديد! فليفعلوا ما يريدون!

رحت أنظر إلى صوفيا النائمة! جسدها بأكمله يرتجف بقوة! فصرخت بوجه جايكوب:

- ضع المزيد من الأخشاب في المدفأة، علينا أن ندفئ جسدها بسرعة!

رد علي جايكوب بأسف:

- الأخشاب نفذت من عندنا! هذه العاصفة الثلجية سوف تقتلنا! حتى مع عدم وجود أي نوافذ في المكان، فالثلوج تدخل من الباب الرئيسي، ومن الأرض والسقف! إنها عاصفة ملعونة!

صحت آمراً بأعلى صوتي:

- لا أريدُ سماع هذه الخزعبلات!

اقتربتُ من صوفيا، ووضعتُ يدي بكل حنان على رأسها، وشعرتُ بنظرات جايكوب لي، وقال مستفسراً:

- سيد ماثيو... هل بينكَ وبين السيدة صوفيا أية معرفة قبل أن تأتي إلى هنا؟

نظرتُ إليهِ ببرود، وقلت:

- ماذا تقصد؟

كان التردد يشوبُ موقفهُ، وهو يتكلم:

- لا أعلم يا سيدي! ولكنَّ حنانكَ وخوفكَ عليها مريب! وكأنكَ تعرفها، أو تكنُّ لها المشاعر!

أردتُ أن أوبِّخهُ! ولكني لا أعلم لماذا قررتُ السكوت! لربما ملاحظتهُ كانت واقعيةً! رغم البداية السيئة لتعارُفنا أنا وصوفيا، إلا أنني بدأتُ أشعرُ بانجذابٍ مفاجيءٍ نحوها! تُرى هل هي مشاعر حقيقية؟ أم أنَّ هذا القصر ولَّدَ فينا مشاعر الوحدة! وجعلنا نتمنّى صداقةَ أيِّ شخص، نستطيعُ أن نشعرَ بالأمان في وجوده إلى جانبنا!

قلتُ له بكل هدوء:

- لا يوجدُ شيء بيننا سوى الاحترام يا جايكوب، إني أخاف عليها، كما أخاف عليكم جميعاً، فنحن في المأزق نفسهِ، وعلينا أن نتَّحدَ سوياً.

هزَّ رأسهُ موافقاً، ورأيتُ بعضَ الشك في عيونه! كنتُ أريد أن أكسرَ حاجز الشك بيننا، فسألتهُ:

- هل أنت متزوجٌ؟ هل لديكَ أطفال؟

- نعم! متزوج، ولديَّ طفلتانِ.

- أظنُّ بأنَّ زوجتكَ وطفلتيكَ قَلِقاتٍ عليك كثيراً! ولابدَّ أنك تتحرَّقُ شوقاً للاطمئنان عليهنَّ.

نظر إليَّ ببرود قاتل، وقال:

- أنا لستُ خائفاً عليهنَّ، فهُنَّ بأمان، ولكني خائف على نفسي، لأنَّ القدر وضعني أمامَ لعنة كبيرة! وأعرفُ بأنني لن أنجوَ منها!

قالها، وذهب يجلسُ وحيداً! إنه مختل! هذا رأيي فيه بكل اقتناع.

لاحظتُ بأنَّ العرق بدأ يتصبَّبُ من جبهة صوفيا! حالتها غريبة! وكأنها أُصيبت بمرض خطير! كانت ترمي اللحاف بعيداً عن جسدها، وأضعهُ من جديد فوقها. بدأت تهمس بكلمات غير مفهومة! كل هذا يحدثُ لها، وهي غائبة عن الوعي!

جاءت إليَّ الطفلة روز تركض من بعيد، احتضنتني وقالت:

- رأيتُ أمي في الأسفل!

اقشعرَّ بدني، وقلتُ لها مصدوماً:

- أمُكِ؟ ولكن كيف؟

قالت بكل إصرار:

- رأيتُها...رأيتُها!

نظرتُ إلى لوكاس الذي جاء في إثرها وهو يعطس، فأشرتُ إليه بأنني أريدُ أن أحدِّثهُ على انفراد. تركتُ

روز بجانب صوفيا النائمة، ووقفت مع لوكاس وجايكوب، قلت:

- ماذا وجدت في الأسفل يا لوكاس؟

انتظرتهُ للحظات، ريثما تنتهي نوبة عطاسه المعتاده، فقال متوتراً:

- رأيت الغرف الثلاثة التي تحدثت عنها، هناك غرفة كبيرة، عبارة عن مخزن للطعام! والأخرى مكتبة ضخمة، والأخيرة مقفلة! ولم أرَ أي ضوء أخضر يخرج منهم كما قلت!

رمقني الحارس جايكوب بنظره، وكأنه يتهمني بالكذب! ويقول لي بنظراته أنني لم أرَ مكتبة أو مخزناً للطعام! إذن الغرفة المقفولة هي التي دخلتها، ولكن كيف!

- لقد أطعمت الطفلة روز، وأكلت، وكأنني لم أذق الطعام منذ سنوات!

سألته باستغراب:

- هل رأيتم أحداً في الأسفل؟

قال مستغرباً:

- لا، لماذا تسأل؟

- روز تقول بأنها رأت والدتها!

أجاب نافياً! فطردتُ هذه الأفكار، وداهمتني فكرة أخرى، اشمأزيت منها!

أمسكتُ يد الحارس جايكوب بقوة، وقلت غاضباً:

- لماذا لم تُخبرنا بوجود مخزن الأكل؟ لماذا تتركنا دون طعام؟

بدأ جسدهُ يرتعش من الخوف، وشعرَ لوكاس بتصاعد الموقف، وبدأ يعطس، فقال جايكوب متردداً:

- أنا...أنا لم أقصد سوءاً بهذا! اترك يدي من فضلك!

ضغطتُ على يده بقوة أكبر، وقلت معاتباً:

- أين ضميرك يا قذر! أنسيت بأنّ معنا طفلة جائعة؟ لماذا تتصرف بغرابة، وتضع نفسك في دائرة الشك؟

بدأ الحارس جايكوب بالصراخ:

- لقد قلت لك اترك يدي! ولا يوجد أحد يتصرف بغرابة غيرك يا سيد مانيو!

ارتفعت موجة الغضب في داخلي، فأمسكتهُ من رقبته، وقلت:

- سوف أقتلك يا جايكوب! سوف أعذّبك إلى أن تعترف لنا وتخبرنا ما الذي يجري في هذا القصر الغريب!.

اشتدّ الوضع تعقيداً بيننا. حاولَ لوكاس أن يبعدنا عن بعضنا، وزادت الحدة والتوتر، فصرخت الطفلة روز باكيةً:

- توقفوا! انظروا!!

التفتنا إلى حيث أشارت؛ فوجدنا صوفيا تقف على رجلها وهي في حالة صدمة! تنظرُ إلينا بعيون حائرة! تحرّرَ جايكوب من قبضتي، فركضتُ باتجاه صوفيا، وقلت بخوف كبير عليها:

- صوفيا! هل أنتِ بخير؟

سكتت لثوانٍ قليلة، ومن ثمّ قالت ببرود:

- ماذا يحدث هنا؟

مرت ساعة ونصف من الوقت، ونحن نستمع إلى صوفيا تحكي عما جرى لها منذ اختفائها في الطابق العلوي. قصتها غريبة، ولا تمت إلى الواقع بصلة! قالت بأنها ذهبت إلى الأعلى كما طلبت منها، وسمعت أصواتاً مرعبة! وتفقد شخص ما كان ينادي باسمها! فتشت في جميع الغرف ولم تجد أحداً، وعندما كانت ستنزل للانضمام إلينا، خرجت نحوها امرأة مرعبة تطلب مساعدتها، تأكدت بأنها المرأة ذاتها التي رأيتها عندما صعدت، من وصف صوفيا لها! قالت صوفيا بأنها لم تشعر بأي شيء بعد سماعها كلمات المرأة، ووجدت نفسها في الطابق السفلي بعد ذلك!

الغريب في قصة صوفيا، طريقة انتقالها من الطابق العلوي إلى السفلي دون أن تمر أمامنا! كيف وصلت إلى هناك؟ هل يوجد طريقة أخرى غير السلم؟ هل هذا القصر له مداخل ومخارج سرية لا نعلم بها؟ ولا أعلم لماذا تنتهي تساؤلاتي دائماً إلى الحارس جايكوب! فهو يعرف هذا المكان جيداً، ولكنه دوماً يظهر لنا بأنه جاهل، ويعيش وسط دوامة مثلنا! والشيء الأخير الذي يقلقني أنا وعقلي ومعتقداتي بأكملها، هو السؤال: هل مايحدث هنا حقيقي؟ أم أنها تجربة غريبة عن إدراكنا؟، يطبقها علينا أشخاص لا نعلم هويتهم؟!

جلست مع صوفيا لوحدنا، وذهب الجميع إلى الطابق السفلي؛ لكي يأكلوا وجبة تحافظ على صحتهم ويقظتهم، كانت صوفيا تقول لي بأنها تشعر بتوعك! إنها مختلفة بطريقة لا تستطيع تمييزها! وكأن قلبها بدأ ينبض بطريقة غريبة! وروحها تبذلت! وعندما كنت أسمع حديثها، كانت دقات قلبي تتسارع بطريقة مخيفة! لأنني أشعر بشعورها ذاته! وصرت منجذباً إليها بلا مبررات أو تفسير!

عاد الجميع من الأسفل! وجلب لوكاس قليلاً من الطعام لصوفيا، ولكنها رفضت أن تأكله الآن، فقلت لهم بأنني سوف أتوجه إلى الطابق السفلي، لأنني أشعر بالجوع الشديد! وقبل أن أذهب تذكرت آلة التسجيل الخاصة بي، فأخذتها ونزلت.

عندما وصلت إلى الأسفل، وجدت الغرفة المنشودة مغلقة! ولم أر الضوء الأخضر! مايحدث هنا ينافي الواقع! بالتأكيد يوجد شخص يعبث بنا! فأنا كنت داخل تلك الغرفة، وأخرجت صوفيا منها! ولكن كلما قلت لنفسي بأنها مزحة! أتذكر العاصفة الجليدية، ولا أجد لها تفسيراً! هل الشخص الذي دعانا إلى هنا كان يعلم بقدوم العاصفة؟ هل كل مايحدث هو مدروس بعناية لكي نحبس في هذا القصر، ويتسلى بتعذيبنا الآخرون بألاعيبهم القذرة؟

دخلت إلى مخزن الطعام، لقد كان كبيراً جداً! وكمية الأكل الموجودة، تبين بأن من وضعها هنا كان يخشى أمراً ما! أو ربما تكتشف بأن من حبسنا هنا، وضع لنا هذا الطعام! لأنه يريد أن يبقينا على قيد الحياة لسبب أجهله!. وجدت الكثير من الطعام المعلّب، فأخذت حاجتي منه وسددت به جوعي! الهدوء غريب في هذا المكان! إنني أسمع صوت أنفاسي بسهولة! وكأنني الوحيد في هذا العالم! أظن بأن هذه الغرفة جدرانها عازلة للصوت!

قررت أن أخرج من مخزن الطعام، وتوجهت إلى الغرفة الأخرى! لقد أخبرني لوكاس بأنها قاعة مكتبة!

دخلتها وذهلت! هذه أكبر غرفة موجودة في الطابق السفلي! تضمّ عدداً كبيراً من المكتبات التي تعجّ بالكتب، وتتوسطها طاولة كبيرة من الخشب الأسود الفاخر، ولا يوجد إلا كرسيّ واحد! كبير ولونه أحمر كدم الغزال!

أخذت أتجول بين الكتب، وبدأت أصابع يدي تتسخ من الغبار المكدس فوقها. وجدت الكتب العلمية والتاريخية والشعر والروايات، لمختلف المؤلفين في العالم! شعرت بارتياح كبير وأنا أقف هنا! فأنا أعشق الكتب!

هناك كتب عمرها مئات السنين! وثقة أوراق ثمينة ونادرة!

تناولت أحد الكتب، وكنت أهم بتصفحه، ولكن دوت صرخة امرأة في المكان، كانت عالية ومرعبة! فسقط الكتاب من يدي، ودب الخوف في كياني! رحت أتلفت يميناً ويساراً! ومشيت بخطوات مرتجفة في المكان، فلم أجد أحداً حولي!

جلست على الكرسي، لأن جسدي لا يستطيع حملي بعد الآن! وضعت يدي على رأسي محاولاً طرد الأفكار التي تقتحم دماغي، وكأنها جيش من الفتاة الظالمين يريد أن يجتاح مملكةً يقطنها الأبرياء!

سمعت صوت أقدام تجري في المكان! فرفعت رأسي، ولمحت جسداً صغيراً يخطو خلف المكتبة! ركضت نحوه كي أكشف صاحبه بوضوح. وهاهي تقف أمامي، طفلة صغيرة! لا يتعدى عمرها عشر سنوات! ترتدي تنورة قصيرة، لونها أبيض! تواجهني بظهرها النحيل! وبشعرها الطويل! التفتت نحوي نصف التفاتة! لقد كانت جميلة جداً، ببشرتها اللؤلؤية، وبعيونها الزرقاء!

قلت بصوت مرتجف:

- من أنت يا صغيرة؟

ابتسمت لي بهدوء! لا أعلم لماذا شعرت بالطمأنينة! ولكن سرعان مازادت دقات قلبي عندما رأيت وجهها الكامل! نصفه كان جميلاً! والنصف الآخر مشوهاً، ولها عين واحدة، والأخرى غير موجودة، وينزف من مكان العين المفقودة كمية دم غفزعة!

رفعت يدها، وطلبت مني أن أرى شيئاً خلفي! التفت بحذر، ولكني لم أجد شيئاً! فالتفت إلى الفتاة من جديد، لكنني لم أجدها!

يا إلهي ماذا يحدث! من هذه الطفلة! وكيف خرجت واختفت بهذه السهولة! شكلها المرعب راسخ في مخيلتي، فكلما أغمضت عيوني أراها!

خطرت لي فكرة بسيطة! قررت أن أضع جهاز تسجيل الصوت على الطاولة، وأستمع إلى تسجيلاته في الغد، وأتأكد إن كانت ستحدث أشياء غريبة في غيابي! وهكذا، وضعت الجهاز في مكانه، وخرجت متوجهاً إلى الطابق العلوي.

https://t.me/pdfnovels

وضعنا مريب جداً! الجميع يتجمدون من البرد، فالنيران التي تمدنا بالدفء أصبحت رماداً!

كلّ منا يجلس وحيداً! لوكاس يعطس وهو شارد الذهن! والحارس جايكوب يتأمل السقف! وصوفيا وجهها شاحب، وتحضن الطفلة روز التي تنام بكل هدوء.

حاولت أن أقطع هذا السكون، فقلت:

- هاتفي فرغت بطاريته، أريد أن أعرف كم هي الساعة؟

جميعهم أخرجوا هواتفهم، ولم يجبني أحدا ففهمت بأنّ بطاريات هواتفهم قد فرغت من الشحن أيضاً! ولكنّ الغريب في الموضوع، أنه لم يجبني أحدا وكأنهم يدخلون في حالة يأس لا مفرّ منها!

كنت أشعر بالتعب وبالنعاس، فقلت:

- سوف أذهب إلى أية غرفة في الطابق العلوي، وأنام لعدة ساعات، علينا أن نحافظ على صحتنا.

قلتها، فنهض لوكاس، وقال:

- سوف أذهب إلى مخزن الطعام.

- سأذهب معك! قالها الحارس جايكوب، فنهضت الطفلة روز من منامها، وقالت لصوفيا بأنها جائعة، فقرروا جميعهم أن يذهبوا.

لم أشعر بجوع للطعام! الذي أشعر به هو جوع للراحة! أخذت معي شمعة كبيرة، وصعدت إلى الأعلى، وبدون أي تفكير، فتحت أول غرفة، إلها بسيطة جداً، وتكاد تكون فقيرة الأثاث! سرير صغير، وطاولة متوسطة الحجم في منتصف الغرفة، أغلقت الباب، ووضعت الشمعة بجانب السرير، واستلقيت عليه محاولاً النوم، لم تمضِ سوى دقائق حتى دخلت إلى عالم أحلامي، فأنا مرهق!

صحوت من نومي على شعور غريب! ثقل يتربع على صدري! الظلام دامس! من الواضح أنّ شمعتي انطفأت.

كنت أريد النهوض من سريري، ولكن تبأ لما أشعر به من ألم! سمعت مقبض الباب يتحرك! هناك أحد يحاول الدخول! صوفيا...لوكاس...جايكوب...روز! ناديتهم بأعلى صوتي! لربما واحد منهم يكون هو زائري الغريب!

فُتح الباب، وسمعت صوت خطوات تدخل المكان! أغلق الباب مرة أخرى، وحبست أنا وسط ذعري من اللحظة القادمة!

- من هناك؟

لم يجبني أحد! واستمرّ صوت الخطوات بتردد أكثر فأكثر!

فجأة! اشتعلت النيران، وشكّلت دائرة وسط سريري، الذي تحرك بطريقة غريبة، وتوسّط الغرفة!

وخرجت تلك المرأة المرعبة! التي تزرع في داخلي جميع أنواع الرعب والرهبة!

هذه المرة، كان يقف خلفها رجلٌ ضخم! يرتدي ثوباً أسود يغطي به رأسه، الذي لا يظهر منه إلا فمه الأسود الكبير!

- هل تريد أن تخرج من هذا الكابوس، وتعود إلى منزلك؟ هل تريدني أن أوقف هذه العاصفة الثلجية؟

قالتها بصوت بارد ومرعب! فقلت متسائلاً:

- من أنتم؟ ولماذا تحبسوننا في هذا القصر؟

صاح الرجل الذي يقف خلفها بصوت هدوء، وقال بغضب:

- أنت لا تسأل! فمن لا يؤمن بهذه الدنيا وأسرارها، لا يحقّ له الكلام! أنت تجيب فقط!

رغم كبر الخوف في داخلي، ولكنّ هذا المخلوق استفزني بطريقة كبيرة! شعرت بقوة تتملّكني، مصدرها علمي وحدسي وأفكاري ودراساتي وقناعاتي، فقلت واثقاً:

- قريباً سوف أكتشفكم! ويحقّ لي أن أسأل! ولا يحقّ لك أن تحدّثني بهذا الأسلوب!

بإشارة من إصبع المرأة المرعبة، سكت الرجل! فاقتربت مني بوجهها المجعّد! وهمست في أذني! ومع كل كلمة تخرج من فمها الذي تخرج منه رائحة عفنة، كانت عيوني تتسع دهشةً! التهث من همسها، وابتعدت بضع خطوات إلى الوراء، وقالت:

- إن كنت تريد الخروج من هنا، فالمهمة ليست بهذه السهولة! هذا أوّل اختبار لك!

تصاعدت درجات الغضب على وجهي، وقلت صارخاً:

- هل جننت؟ ماذا تريدينني أن أفعل ؟ هل تظنينني جاهلاً يا مجنونة؟

فتحت باب الغرفة دون أن تلمسه! وهدأت النيران التي حولي إلى أن اختفت بأكملها، وخرجت المرأة بكل هدوء، وكان الرجل الذي يقف خلفها سيخرج، ولكنه عاد ووقف أمامي، وأخرج من جيبه شيئاً، ورماه على السرير، وقال:

- كيف تتجشم على مخلوقات لا تؤمن بوجودها؟

قالها، وخرج سريعاً من الغرفة، وأغلق الباب بقوة مع رياح مدوية!

لقد رمى لي آلة التسجيل الخاصة بي! شعرت بأن جسدي قد تحرّر فجأة من ذاك الثقل الذي أشعر به! لم أنهض من مكاني، لأنني أعيش قصةً خيالية ومرعبة! إنّ المرأة تريد مني أن أفعل المستحيل! إنها تريد.... تريدني أن أقتل الحارس جايكوب!

شلل تام يسري في أجسادنا الباردة! تمنى أن تتوقف هذه العاصفة! وأن نشعر بجمال الطبيعة التي تعودنا عليها في مدننا، وهي تنتشر في هذه المدينة أيضاً.

جلست مع صوفيا وأنا مشتت الذهن، فقالت لي وهي مرعوبة:

- لا أشعر بحواسي جميعها يا ماتيوا هذا المكان يتغذى على روحي! ما يحدث لنا في كفة، وظروفنا جميعاً في كفة! كل واحد منا لديه معاناة مختلفة... لغز محير! ولا أعلم كيف تجمعنا الظروف بهذه الطريقة.

كنت أريد أن أقول لها أي شيء يهون من صدمتها، ولكنني لا أختلف عنها إطلاقاً. فأكملت حديثها:

- ينفطر قلبي على الطفلة روز، أحاول أن أشعرها بالأمان! ولكن بمجرد أن أنظر إلى عيونها، أشعر بأن هذه الدنيا قاسية جداً! أريد أن أعرف من هي أمها؟، وكيف تركتها بهذه الطريقة، والأهم من هذا وذاك، لماذا اختارت أن تهجرها في هذا القصر بالذات!

قررت أن أحدثها بموضوع مختلف! لكي أصرف انتباهها عن هذا الواقع المرير، فقلت:

- صوفيا، حدثيني عن أحلامك...طموحاتك؟

ابتسمت لي بطريقة لطيفة، وقالت وهي شاردة في أفكارها:

- أريد أن أكون أنجح وأشهر كاتبة في العالم! أريد أن تبقى كلماتي وهمساتي في قلوب الناس، حتى ولو فارقت الحياة. كما قلت لك في أول لقاء بيننا، أنا جئت إلى هنا لكي أدرس القصر وما يجري فيه، وعن أحداثه أنوي أن أكتب رواية واقعية، تحقق أعلى المبيعات، ولكن...

قاطعتها وسكتت لثوان، وأصبح وجهها مكسوراً وحزيناً عندما أكملت حديثها:

- لكن قراري أصبح يطاردني! ليتني لم أوافق على الدعوة، وأزور هذا القصر الملعون!

- وكيف حكمت عليه بأنه ملعون؟

نظرت إلي، وقالت بذهول:

- هل تظن بأن مايحدث معنا واقعي؟ هناك لعنة تحوم في المكان، وقد وقعنا وسطها.

كنت سأرد عليها، ولكني سمعت لوكاس يصرخ ويسقط أرضاً، وهو يعطش ويرجف. وبدأت الطفلة روز بالصراخ أيضاً وبالبكاء، ولكن الغريب في الموضوع، بأن الحارس جايكوب ينظر إلى لوكاس بكل برود. ركضت وأمسكت به، وقلت مهدئاً:

- لا تخف يا صديقي أنا معك! كل شيء سوف يكون على مايرام! لا تخف.

نظر إلي بعيونه الحزينة، وقال:

- لا أريد أن أموت يا ماتيوا أريد أن أرحل الآن!

قالها وعطش مرات عديدة، فقلت مهدئاً:

- كلنا سنموت في يوم ما، ولكني أعدك بأن اليوم ليس يومك!

هدأ أخيراً وشكرني، فأمسكت يد الحارس جايكوب، وقلت بغضب:

- لماذا تركته هكذا؟ وكنت تنظر إليه وكأنه حشرة!

رمقني بنظرة باردة، وقال:

- لأنك تكذب عليها سوف يموت، وكلنا سنلحق به! قالها، وتركني وذهبا

" إنه يستحق الموت يا ماتيوا "

سمعت صوتها وهي تهمس لي بهذه الكلمات، تلفتُ كالمجنون أبحث عن المرأة المرعبة، ولم أجد أحداً!

رأيت الطفلة روز تنام بين أحضان صوفيا، فقررت أن أكمل حديثي معها، جلست بجانبها، وأنا أشعر بذاك الشعور الجديد والغريب! قلبي يدق بسرعة عندما أكون بجانبها، وصوتها يهدئ كل مايداخلي عندما أستمع لعذوبته، فقلت لها:

- كيف تشعرين الآن؟

أمسكت يدي بحنان، قائلة:

- إنني أشعر بالخوف! لكن هدوء أعصابك يريحني! قل لي، لماذا لم توافقني الرأي عندما قلت لك بأن هذا القصر ملعون؟

قلت ببرود وبثقة تامة:

- لأن دراستي وقناعاتي، تؤكد لي بأن جميع مايحدث في الكون، له تفسير علمي.

- والعاصفة التي حاصرتنا هنا، ماهو تفسيرها؟ مع العلم بأن مناخ مدينتنا بعيد كل البعد عن هذه الأجواء القارسة.

سكتت لثوانٍ قليلة، إنها تحاول أن تقلبني بنظرياتها غير الواقعية، أكملت بثقة، وقلت:

- المناخ من الممكن أن يتغير بين الحين والآخر. صوفيا! لا تدعيهم يجرفونك نحو ظلام أفكارهم!

رأيت نظرات عيونها تجول في المكان، وكأنها خائفة من شيء! فقالت متوترة:

- هل تذكر حديث الحارس جايكوب عن اللعنة التي ذكرها أجداده؟ كلّ مايقوله صحيح، و....

كانت تستمر في حديثها بضعف! واثقةً من كلامها! ولكنها أدخلتني -من خلال مقطع غريب في حديثها- في دوامة جديدة من الشكوك، فسألتها مستغرباً:

- وكيف لك أن تعرفي شيئاً عن هذا الحوار؟ فأنت كنت مفقودة! وأنا أتذكر هذا جيداً!

انهمرت دموعها، وشعرت بجبل الحزن والخوف الذي يجثم فوق صدرها، فقالت منهارة:

- لقد كنت موجودة.... موجودة!

- صوفيا! أنا لا أفهم شيئاً!

مسحت دموعها، وحاولت ألاّ تقطع نوم الطفلة روز، وهمست لي:

- هذه هي الحقيقة يا ماتيو، لقد كنت بينكم، وأسمع حديثكم، ولكنكم لم تستطيعوا سماعي أو رؤيتي! هل تلومني عندما أقول لك بأنني خائفة! وبأن هذا القصر ملعون! لا أعلم كيف كان جسدي غير الظاهر حاضراً معكم! ولا أجد تفسيراً علمياً كما تزعم، يعلّل وجودي في الطابق السفلي، في اللحظة التي كنت أستمع فيها إلى حكاية الحارس جايكوب!

حاولت أن أناقشها...أكذبها! ولكنّ لساني قد زبط! فقلت لها مطمئناً:

- عليك أن تنالي قسطاً من الراحة يا عزيزتي، وأعدك بأنه لن يصيبك أيّ مكروه!

أومأت لي موافقة، وحضنت الطفلة روز بقوة، وأغمضت عينيها.

رأيت لوكاس يجلس على الأرض، ممسكاً كاميرته بكل حسرة! ذهبت إليه سائلاً:

- ماذا بك يا لوكاس؟

نظر إلي، وقال بحزن:

- وجدت كاميرتي مكسورة يا ماتيوا لا أعلم من فعلها! أنا أشك بالحارس جايكوب! فهو غريب الأطوار!

نظرت إلى جايكوب، فوجدته ينظر إلى الأفق، وكأنه جسد بلا روح! فقلت للوكاس:

- آسف على خسارتك يا صديقي، ولكنك لا تحمل أي دليل ضده، ولو فرضنا أنّ كلامك صحيح، فما هي دوافعه ليكسرها؟

عطش، وقال متوتراً:

- لا أعلم! وتباً لي لأنني وافقت أن آتي إلى هذا القصر، ياليتني رفضت كما رفض الجميع! ولكنّ إصراري لتكوين اسم كبير لي في عالم الصحافة، هو ما وضعني في هذا المأزق!

لم أستطع أن أقول له شيئاً! فقررت أن أتوجه إلى الطابق العلوي، أريد أن أرتاح! هذه العاصفة الثلجية تشلّ حواسي جميعها!

وصلت إلى الغرفة التي كنت فيها مسبقاً، ورميت جسدي بكل قوة على السرير! وبدأت أفكر!

صوفيا ولوكاس، يريدان المجد والشهرة لاسميهما! والطفلة روز تبحث عن الأمان من جديد، بسبب تخلي والدتها عنها! والحارس جايكوب يحمل الشخصية الغامضة، وجميع الفعطيات ترجح كفة براءته من جميع مايحدث، فهو حارس القصر ليس إلا!

وأخيراً... أنا! ما الذي جاء بي إلى هنا؟ هل هو غروري؟ أم قناعاتي وأفكاري؟ ما الذي كنت أريد إثباته؟ فما يحدث هنا أمرٌ مريب!

إلى الآن مازلت أفكر بحديثي مع المرأة المرعبة! من هؤلاء القوم؟ وإن كان كلامها صحيحاً، فكيف يستطيعون التحكم بالطقس، ولماذا يريدونني أن أقتل نفساً بريئة؟

ولماذا يريدون التخلص من جايكوب؟ وتهديدهم الأكبر مفزع! وهو قتل الطفلة روز، إن لم أطعهم!

و لو وافقت على ذلك، فكيف أقتلهم؟!

فجأة، سمعت صوت شيء يسقط تحت السرير الذي أنام عليه!

نهضت من مكاني، وبكل حذر تحسست بيدي أسفل السرير، فلم أصدق ماذا أمسكت! إنها سكين حادة! هل هم يسمعون أفكاري؟ ولكن كيف؟ سوف أجنّ من هذه اللحظات التي أعيشها!

لا أعلم كيف قادتني خطواتي إلى الطابق السفلي، واضعاً السكين خلفي.

الجميع نيام! وهذا ما يثير استغرابي قليلاً! لماذا لا يستخدمون الغرف الموجودة بكثرة في الطابق العلوي؟ هل يشعرون بالأمان عندما يكونون مع بعضهم؟

الطفلة روز تنام في حضن صوفيا، إنها متمسكة بها كثيراً، ربما لأنها المرأة الوحيدة في المكان، وتذكّرها بحنين والدتها الغائبة!

لوكاس يعطش كثيراً حتى في منامه! ويرتجف من البرد، كما يفعل الجميع في نومهم.

وقفت فوق رأس الحارس جايكوب، حتى وهو نائم، وجهه ظلّ عابساً وغريباً! بيد مرتجفة وضعت السكين فوق رأسه! تساقطت قطرات العرق على جبيني، وتسارعت ضربات قلبي! وضعتها على عنقه، وأنا لا أصدق

كيف أفكر بهذا الأمرا

سمعت صوتها، يهمس في أذني بكل شر:

" اقتلة يا ماتيوا أنه الأمر، وسوف أوقف هذه العاصفة التي سشميتكم من البردا "

شعرت بصوتها يأتي من داخليا وكأن هذا الشر مزروع فيا

صوت عطسة لوكاس وهو نائم، جعلتني أعود إلى رشدي! يا لجنوني! سرعان ما سحبت السكينة، وركضت نحو الطابق العلوي مرة أخرى!

أقفلت على نفسي الباب، وبدأت أبكي! مرت ستوات وأنا دون أن أرى دموعي! لقد كنت صلباً! ولكن هذا المكان يجعلني إنساناً مختلفاً! يطيح بي وبمعتقداتي وأفكاري كلها! كيف لي أن أقتل؟ كيف تدخل الشكوك إلي، وتدفعني إلى الظلم والقتل؟

وضعت السكين تحت وسادتي، وكنت سأخلد للنوم! ولكن هناك صوت يأتي من العمر جعلني أنهض كالمجنون! إنه صوت الطفلة روزا تتألم وتبكي وتنادي باسمي!

فتحت الباب بسرعة، ورأيت أكثر مشهد مرعب في حياتي! إنها روزا معلّقة من رقبتها، بحبل سميك، قرمزي اللون، يتصل بالسقف! إنها تختنق! وجهها أصبح أزرق اللون! ركضت نحوها لكي أحرّرها، ولكنني كلما اقتربت منها،كانت تأتيني صعقة كهربائية، لا أعلم مصدرها!

حاولت المرة تلو الأخرى الوصول إلى روزا وخارت قواي بسبب الصعقات القوية!

"الحل بيدك يا ماتيوا اذهب واقتل جايكوب، وأعدك بأن أحرّر الطفلة روزا"

لم أر المرأة أمامي! ولكنها كانت تهمس لي بشرّها! شعرت بأنني أملك قوى خارقة أوقف بها الوقت، وأفكر بشكل سريع! ولا أعلم كيف اتخذت ذاك القرار! ركضت وأخذت السكين من الغرفة، بطريقة لم أفعلها من قبل! وكأن رجلي عاد لها شبابها، ووقفت فوق رأس الحارس جايكوب من جديد، وهمست:

- أرجوك سامحني!

فتح عيونه، ونظر لي برعب، وأنا ممسك بالسكين، كان يريد أن يقول شيئاً، ولكني نحرت رقبته بلا رحمة!

نهضت من السرير بعد أن نمت، والدموع تتساقط من عيني، يا إلهي! لقد قتلتها! لقد أدخلت نفسي في جريمة قتل!

صحيح بأن القصر لا يحتوي على نوافذ، ولكني حتى الآن أشعر بالبرد القارس! هل هذا يعني أن العاصفة لم تتوقف كما وعدوني؟ هل تم خداعي؟

كيف سأشرح لرفاقي دوافعي لقتل جايكوب؟ من سيقف في صفي؟ أنا الأستاذ ماثيو روبرت، الرجل العاقل الذي زلزل العالم بنظرياته وبشعاراته، يصبح اليوم قاتلاً!

فجأة، سمعت صوت طرق الباب، نهضت بكل توتر، وفتحت الباب بيد مرتجفة، فرأيت صوفيا تنظر إلي بقلق، هل كشفت أمري؟

- ماذا بك يا ماثيو؟

تسمرت في مكاني، أنظر إليها بخوف شديد، هي بالذات لا أريد أن أنفرها مني، هي التي أشعر نحوها بشيء غريب، باختصار، لا أريد فقدانها! قلت متوتراً:

- لماذا تسألين؟

بادلتني التوتر بتوتر وهي تقول:

- إنني قلقة عليك! لقد نمت لفترة طويلة! وجميعهم خائفون عليك، وبالذات أنا!

قالتها بكل خجل، وأحنت رأسها للأرض! تحركت موجة من المشاعر بداخلي، وأنا أقول:

- ولماذا تخافين علي؟

رفعت رأسها، ولاح الضياع في نظراتها:

- إن كنت تريد الحقيقة، فأنا لا أعرف! منذ أن أنقذتني في الطابق السفلي، وأنا أشعر بشيء لا أستطيع تمييزه، أو تفسيره! ولكني أشعر بالاطمئنان وأنا بقربك!

ابتسمت لها، وسرنا خارج الغرفة نحو الممر إلى أن وصلنا للأسفل! ركضت الطفلة روز نحو صوفيا وحضنتها، وشعرت بالأمان الكبير بمجرد رؤيتها لها،إن روز على قيد الحياة! ولكن إن كنت قد نجحت في مهمتي، فهذا يؤكد لي الشيء الآخر، وهو أن الحارس جايكوب قد مات، وأنا... المجرم الذي قتله!

صوفيا تجلس مع روز لوحدهما، ولوكاس يجلس وحيداً هو الآخر، ويتمتم بكلمات غير مسموعة، ويعطس كثيراً، فتقدمت نحوه وقلت:

- كيف حالك اليوم يا لوكاس؟ أريد أن أسألك: هل رأيت الحارس جايكوب؟

نظر إلي باستغراب، وقال:

- سؤالك أدهشني! لأن هذا الموضوع يؤرقني!

- ولماذا؟

عطس مرة أخرى، وقال:

- لقد صحونا من النوم منذ ساعات، ولكننا لم نره! وكأنه اختفى في ظروف غامضة!

شعرت بقطرات العرق تنزل من جبهتي، فحاولت قدر المستطاع أن أخفي ارتباكي! فقال لوكاس خائفاً:

- أشعر بأننا سوف نموت من هذه العاصفة الثلجية يا ماثيو!

من قوة صدمتي بما يحدث، نسيت بأنّ العاصفة لم تختفِ! هل تمّ التلاعب بي؟ لقد قالت لي بأنها ستوقف هذه العاصفة فور قتلي لجايكوب! يا إلهي يا ماثيو كم كنت غبياً!

ابتعدتُ خطوات عن لوكاس، ووقفتُ في منتصف المكان أفكر! لاحظتُ أنّ عيون صوفيا متمركزة عليّ! فحاولتُ ألّا أنظر إليها، وفجأة! جاءني صوتة من الخلف، سؤاله جعلني أنفصل عن حالة الضياع التي أعيش فيها:

- كيف حالك؟ يا سيد ماثيو؟

التفتُ، وشعرت بكلّ جزء من جسدي يرتجف! ورأيتهُ يقف أمامي! إنه الحارس جايكوب! كيف يكون على قيد الحياة؟

جاوبتهُ بكل حذر وخوف:

- إنني بخير! لقد قالوا لي بأنك مختفٍ! أين كنت؟

نهض لوكاس من مكانه، وهجم على الحارس جايكوب بسؤاله، وهو يعطس:

- نعم، نعم! أين كنت يا جايكوب! كيف لك أن تختفي بهذه البساطة! لقد بحثتُ عنك في كل مكان ولم أجدك! إنني أشكّ فيك منذ أن وقفنا في هذا المأزق!

أجاب الحارس جايكوب غاضباً:

- إلى متى وأنت تريد أن تجعلني المجرم يا سيد لوكاس! لقد كنتُ في الأسفل، في مخزن الطعام، أستعرض ما هو صالح للأكل هناك، وأتخلص من الأكل الفاسد! ولو كنت تريد الحقيقة، كان عليّ أن أتخلص منك مع الأكل الفاسد، لأنكما أنت والطعام الفاسد متشابهان!

عطس لوكاس، وأمسك عنق الحارس بغضب، وهو يصيح:

- هل تريد أن تقتلني يا أبله؟ اعترف بأنك متورط مع من يعذّبنا بهذا الشكل!

حررتْ جايكوب من يد لوكاس، وسألته:

- لا أحدَ يتهمك بشيء يا جايكوب! ولكن قل لي، هل لاحظت شيئاً غريباً البارحة، وأنت نائم؟

نظر إليّ بذهول، وقال:

- لا! ولكن مادخل هذا بموضوعنا؟

- أجبْ على أسئلتنا دون مراوغة! قالها لوكاس صارخاً

وبدأت معركة الكلام بينهما! فبكت روز بخوف، وصرخت صوفيا بأعلى صوتها:

- هل تشعرون بما أشعر به؟

نظرنا إليها بعيون مبهورة! جميعنا جسدنا مبلّل بالعرق! إننا نشعر بحرّ شديدا وكأن العاصفة الثلجية، تحولت إلى جحيم!

قال لوكاس وهو يعطس:

- ماهذا الحر؟ هل انتهت هذه العاصفة؟ هل سوف نخرج من هذا الكابوس؟

فجأة أنيرت أضواء القصر كلّها! فتقدّمنا جميعاً نحو باب القصر، فتحتهُ بكل حذر؛ واتسعت عيوننا صدمة

بما رأيناه!

العاصفة قد اختفت! الأجواء مظلمة في الخارج، وكأن الساعة تشير إلى منتصف الليل، إننا ننظر إلى عدد غير محدود من الكائنات غير المعروف نوعها،إنهم يحاصرون القصر بلبساهم الأسود. أطوالهم فارعة! وجوههم مغطاة برداء طويل يخفي هويتهم، بعضهم لديه قرون، وآخرون برجل واحدة! إنهم كالفسوخ! ويخرج منهم صوت غريب! كأنهم يرددون طقوساً غير معلومة! وأخيراً هناك نيران تفصل بينهم، وهي السبب في الحر الشديد الذي نشعر به! ماذا يحدث، هل هو بداية كابوس جديد في هذا القصر!

عطس لوكاس بتوتر، وقال:

- ماذا يحدث؟ ماهذه المخلوقات؟ ولماذا يحاصرون القصر بهذا الشكل؟

بدأت روز بالبكاء كعادتها، إنها تعيش حالة بؤس منذ طفولتها، فأخذتها صوفيا، وأدخلتها إلى القصر.

استهزبنا أنا ولوكاس وجايكوب بالنظر والإصغاء لهذه المخلوقات، ظننت للحظات بأنه حلم! ولكن ما يجري جميعه، يؤكد لي بأنني لست نائماً أو حالماً!

نظرت إلى الحارس جايكوب الخائف، وقلت:

- ماذا يحدث يا جايكوب؟ هل رأيتهم من قبل؟

- لا يا سيد مانيو! فأنا لا أرى إلا البشر، لكن من نراهم ليسوا بشراً إنهم شياطين!

قررت ألا أخوض معه في هذا النقاش العقيم، وقلت حائراً:

- هل كانوا موجودين عندما بدأت العاصفة الثلجية؟

أخرج لوكاس الكلمات من فمه بصعوبة:

- لا أظن ذلك!

سقط جايكوب على الأرض، وقال باكياً:

- هذه هي اللعنة التي ذكرتها لكم! إننا هالكون...هالكون!

عطس لوكاس، ومن ثم صرخ بعصبية موجهاً كلامه إلى المخلوقات التي تقف أمامنا:

- من أنتم؟ وماذا تريدون منا؟

ولكنه لم يتلقَ أية إجابة كما توقعت، فتقدم وكان يريد أن ينزل من عتبة القصر إليهم، حاولت أن أردعه، وكنت أريد من جايكوب الواقع على الأرض مستسلماً أن يساعدني، ولكني لم أستطع! الإنسان عندما يغضب، تتكون بداخله قوى خارقة تتخطى قوته الجسمانية!

وضع رجله على الأرض وحدث شيء مريب! تعرض لصعقات كهربائية لا أعلم مصدرها! وقفت كالصنم! ورأيت الحارس جايكوب يركض في اتجاهه لإنقاذه، وتم صعقة هو الآخر، ولكنه بطريقه ما، استطاع أن ينقذه ويرجعه إلى مكانه.

سقطا معاً على الأرض، ودخل لوكاس في حالته النفسية من جديد، يعطس ويعطس ويبكي ويصرخ! فحملة الحارس، ودخلنا إلى القصر!

استمز توم لوكاس لفترة طويلة، بعد إغماءة من شدة الصدمة، والحارس جايكوب يجلس فوق رأسه تحسباً لاستيقاظه وطلبه للمساعدة، الطفلة روز تنام هي الأخرى بعد تعرضها للصدمة الجديدة التي تعيشها. كنت أنظر إليهم بذهول، وليسوا هم من يستبون الذهول لي، بل بسبب ما نعيشه حالياً!

قتلت جايكوب كما طلب مني، وبقوة خارقة وغريبة، رجع إلى الحياة من جديد! ومن يقف خلف هذه القوى، نفذ وعده، وأوقف العاصفة الثلجية! ولكنهم وضعونا في حلقة رعب جديدة!

شعرت بيدها الناعمة وهي تمسك يدي، فنزلت علي طمأنينة أشبه بالجنة! التفت إليها، وقلت بهدوء:

- وجودك هو مايهون علي مايحدث!

ابتسمت لي وقالت:

- وأنا أشعر بأنني لا أستطيع الاستغناء عنك! أنت كالصلاة في جميع الأديان، من الممكن أن نغفل عنها، ولكن من المستحيل أن نهجرها للأبد.

- ماذا يحدث في داخلي تجاهك يا صوفيا؟ فأنا لم أشعر من قبل بما أعيشه معك، حتى ونحن في هذا المكان الملعون!

- وأنا أيضاً! برغم كل مانعيشه من رعب! إلا أننا نتحدث بلغة القلوب كلما رأينا بعضنا! أريد أن أحدثك بأمور كثيرة عن حياتي، ولكن أريدك أن تناقشني في كلمة قلتها لتوك، وهي تثبت كلامي بالسابق، هذا المكان أشبه باللعنة!

أخذت نفساً عميق، وقلت بقلق:

- لا أعرف ماذا أصدق بعد اليوم! قضيت حياتي أتباهى بنظرياتي وبمفاهيمي، ولكن عندما زرت هذا القصر، شعرت بأنه يهزني من الداخل!

نظرت إلي بعيون ثاقبة، وقالت:

- ولماذا لا تشك بأن مفاهيمك خاطئة؟

- لأن مايجري هنا لا يمت إلى الواقع بصلة! كيف تريدينني أن أقتنع بأشياء خارقة لا وجود لها، هل نتكلم هنا عن الجن والشياطين؟ ونبوءات سحرية؟ هذه الأشياء لا وجود لها في عالمنا.

أخذت هي الأخرى نفساً عميقاً، وقالت:

- أنت ماثيو روبرت! أشهر شخص أطلق هذه النظريات حول العالم، ولكنك لم تكن الأول! وبالتأكيد ليس الأخير، ولكن هناك قبلك كثر! وهل تستطيع أن تقول لي ماذا حدث لهم؟ جميعهم بعد إصرارهم القوي، خضعوا في يوم من الأيام! وخرجوا عبر وسائل الأخبار، وكذبوا نظرياتهم، وآمنوا بالجن والشياطين والعالم الآخر، وأسرار لم تكتشف، وعندما اعترفوا بأخطائهم، كانوا في حالة شرود وحزن ناتجان عن هزيمتهم!

ضحكت بصوت عالٍ، لا أريد الاستهزاء بكلامها، ولكن كلامها أضحكني بالفعل!

- أنت أجبتني قبل أن أجيبك! كانوا بحالة غريبة عندما ارتدوا عن مبادئهم، لأنهم تعرضوا لضغط وتهديد من قبل المنظمات، ومن يمسك بزمام أمور جميع الدول! وبعضهم قبض مبالغ مادية لا تحصى، وباعوا معتقداتهم الثمينة، لكنهم لن يستطيعوا فعل هذا الشيء بي، لأنني قوي الشخصية! ولا أحتاج للمال! فأنا أمتلكه وبوفرة!

نظرت إلي صوفيا ببرود، وقالت:

- إذن قل لي: ماذا يحدث لنا هنا؟ كيف تختفي هذه العاصفة، ويأتي إلينا لغز جديد؟ ومن هم الذين يقفون في الخارج؟ وهل هم بشر كحالنا؟ أم مخلوقات فضائية؟ لماذا جميع مانعيشه حالياً ينسف كل دراساتك وكلامك؟

- أنا لا أملك الجواب الكافي لك، ولكنّ مايحدث هنا له تفسير علمي، أو أنها تجربة بشرية غريبة!

ابتسمت بحزن قائلة:

- ياليتني قوية مثلك! ياليتني أستطيع أن أفكر بعقلك!

ابتسمت لها بلطف، وقلت:

- أريد منك طلباً بسيطاً!

أومأت لي، ورأيت عينيها وقد ارتعشتا شوقاً! نظراتها تذيب قلبي! كيف بدأنا نشعر بهذا الحب! إنني متعلق بصوفيا بطريقة غير واقعية!

- أريدك أن تباشري بكتابة عملك الأدبي، فأنت هنا لهذا السبب. دوّني كلّ مايحدث، وأدخلي على الأحداث أساليبك الأدبية، وأنا أعدك بأننا سنخرج من هنا المكان، وسوف توقعين لي أول نسخة من كتابك.

كانت تريد أن تناقشني، ولكننا حوّلنا نظرنا إلى لوكاس، الذي استيقظ من منامه، وبدأ يعطس ويصرخ ويقول:

- سوف نموت... سنموت! هناك وحوش في الخارج! لن نخرج أبداً! يا لغبائي، كيف وافقت على المجيء إلى الجحيم!

ركضتُ نحوه، وحاولتُ تهدئته:

- لوكاس انظر إليّ! لن نموت صدقني! مايحدث هنا سوف ينتهي!

لم يرد عليّ، ولكنه وجه نظراته تجاه الحارس جايكوب، أمسك يده بقوة، وقال:

- لقد ساعدتني في الخارج.... لماذا؟

قال الحارس بهدوء:

- لأنني لست عدوّك يا سيد لوكاس، رغم جميع اتهاماتك لي، نحن في الفريق التعيس ذاته! ولابد أن نتلاحم؛ لنتخطى هذه المحنة.

بان التحضر في نظرات لوكاس، فقال:

- أنا آسف يا جايكوب! سامحني!

- لا عليك! وسوف نتخطى كلّ مايحدث هنا، لكن عليك أن تستجمع قواك، فنحن بحاجة لك!

كنتُ سأكمل حديثي مع صوفيا، ولكنّ الطفلة روز أتت إليّ، وقالت بحزن:

- طال غياب أمي! أين هي يا سيد مانيو؟ أريدها أن تأتي في الحال، وأريد أن أغادر هذا المكان المخيف، المكان هنا أشبه بالجحيم بسبب حرارته!

شعرتُ بهزة في داخلي، لا أعرف كيف أتصرف مع هذه الطفلة؟، وماذا أقول لها! رغم أن كلامها صحيح! إنني أذوب من حرارة الطقس! أو من النيران المنتشرة حول القصر! قلتُ لها مطمئناً:

- والدتك لن يطول غيابها يا طفلتي، سوف تأتي قريباً.

أعطتني ظهرها، وقالت بغضب:

- إنكم تكذبون، إنها لا تريدني!

- هذه الدنيا قاسية جداً! قالتها صوفيا متأثرة!

فأجبتها موافقاً:

- الدنيا غير عادلة، خاصةً مع الأطفال!

- هل لديك عائلة يا ماتيو؟

وكأنّ حزني على روز سوف يتضاعف مع سؤالها لي، فقلت محاولاً إخفاء حزني:

- كان لديّ زوجة جميلة، وابنة تبتسم الدنيا بأكملها عندما تضحك، ولكنهما فارقتا الحياة.

قالت لي بحزن كبير:

- يا إلهي! ماذا حدث؟

- وقع حريق كبير في بيتنا! وجميع ممتلكات المنزل لم تُتلف، ولكنّ زوجتي وابنتي لم تُكتب لهما النجاة! عندما أفكر في الموضوع لا أعلم أأضحك أم أبكي! فأشياء سخيفة كممتلكات المنزل، والتي من الممكن أن تعوض، نجت من الحريق! وعائلتي التي لا تعوّض لقيت حتفها!

لمست صوفيا يدي بحنان بالغ! وقالت:

- قلتها لك قبل لحظات: الدنيا غير عادلة! وأنا سوف أعوّضك عن جميع مافقدته!

اتسعت عيوني دهشة من صراحة مشاعرها لي! فأكملت كلامها، وقالت باهتمام كبير:

- لا أستطيع أن أخبىء مشاعري أكثر من ذلك! أشعر بإحساس عميق تجاهك! شعور لم أعيشه عندما رأيتك لأول مرة! ماذا يحدث لقلبي! ولكن كل هذا لا يهمني! المهم عندي هو أنت! هل تبادلني الشعور نفسه؟

كنت سأجيبها، ولكني رأيت شيئاً جعل دنياي بأكملها توشك أن تتوقف! إنها زوجتي المتوفية برفقة ابنتي! تظهران أمامي بملابس فقيرة ورثّة! جروح جسديهما واضحة من أبعد مكان! إنهما تنظران إليّ بحزن وباستسلام! ودموع عيونهما تتراقص، وكأننا في ليلة فراق!

ذهبنا نحو الباب المؤدي إلى الطابق السفلي، فقلت لصوفيا صارخاً:

- هل تريانهما؟

التفتت تبحث عما أقصده بكلامي، ورغم أنّ زوجتي وابنتي كانتا تخرجان من الباب أمامنا، لكنّ صوفيا صدمتني بوجهها المندهش:

- لا أرى شيئاً يا ماتيو! ماذا بك؟

قررت ألاّ أجيبها، ونهضت من مكاني مسرعاً، وتوجهت إلى الطابق السفلي، دقات قلبي تتسارع بصورة كبيرة! وكأنها لا تستطيع أن تجاري صدمتي!

رأيت باب غرفة المكتبة مفتوحاً! إنهما بالتأكيد في الداخل! دخلت كالمجنون! ليت ما أراه حقيقي، أتمنى أن أخرج من هذا المكان بحسنة وحيدة! بحثت في كل مكان، وصرخت بأعلى صوتي منادياً باسمهما! ولكن لم تكن هناك أية استجابة!

سمعت حركة خلفي، وفجأة شعرت بيد وضعت على كتفي بقوة! التفت بسرعة، فوجدتها! زوجتي تنظر لي بعيون مكسورة، وهي ممسكة بيد ابنتي الجميلة! حالهما مرعب! سقطت دموعي دون أن أشعر. مددت يدي،

كنت أريد أن أضعها على وجه زوجتي، ولكن جسدها وجسد ابنتي بدأا بالاشتعال! صرخت زوجتي، وقالت:

- ساعدنا يا ماتيو! إنهم يعذبوننا... يحرقوننا يومياً!

كنت أريد أن أفعل أي شيء لتخليصهما، ولكنهما سرعان ما تحولتا إلى رمادا

سقطت على الأرض وأنا ألمس ماتبقى منهما! بكيت... صرخت... لعنت هذه الدنيا!

فجاءني صوت ضحكتها الشريرة! المخلوقة المرعبة التي تظهر لي بين الحين والآخر!

كانت تضحك بلا مبالاة على ما أعانيه من ألم! تتلذذ بتعذيبي منذ أول مرة ظهرت فيها أمامي في هذا القصر الغريب. قالت لي مبتسمة:

- ماذا بك يا ماتيو؟ هل تفتقدهما؟

نظرت إليها بغضب، وقلت:

- هل هما على قيد الحياة؟ وهل صحيح بأنكم تعذبونهما؟

قالت لي ببرود قاتل:

- نعم، صحيح!

ضربات قلبي بدأت تتصاعد، كنت أريد خنقها! فقلت تائهاً:

- ولكن كيف؟ لقد وافتهما المنية منذ سنوات، وأنا دفنتهما بنفسي!

هذه المرة ضحكتها الشريرة انتشرت بين أرجاء المكان، وقالت بلؤم كبير:

- لقد جلبناك أنت ومن معك إلى هذا المكان لأنكم آثمون! ونحن نتحكم في حياتكم وفي حياة عائلاتكم الأحياء منهم والأموات، ولو أردت الجواب الوافي، فعائلتك توفيت في الواقع، ولكننا نمتلك روحي زوجتك وابنتك الآن، وتعذيبهما!

تمالكت نفسي بصعوبة، أريد أن أظهر قوتي، فقلت:

- هل هذا تحدٍ جديد؟

- يعجبني ذكاؤك يا ماتيو! إنه تحدٍ كالسابق، ولو تخطيته فسوف أنقذ عائلتك من جحيمنا، وسوف أنقذك أنت ومن معك من الذين يقفون في الخارج، وسأخلصكم من هذه الحرارة التي تذيبكم الآن!

من هول الموقف، نسيت هذا الحز القاتل الذي نعيش فيه! ولكن هناك شيء لا أفهمه! فقلت سائلاً:

- لماذا أنا الشخص الوحيد الذي تضعونه أمام هذه التحديات؟

- وما الذي يؤكد لك أن الأشخاص الذين في الأسفل ليسوا في دوامة كدوامتك؟

- ومتى سوف ينتهي هذا الأمر؟ ومن أنتم؟

اقتربت مني، فشممت رائحة أنفاسها المقيتة، وقالت:

- كل شيء سوف يظهر لك في وقته المناسب. ألا تريد أن تعرف مهمتك القادمة؟

نظرت إليها بثقة مصطنعة، وقلت:

- وماهي؟

- أنت تقف حول مكتبة تحتوي على علوم الدنيا بأكملها، هناك كتب موجودة لا تقدر بثمن، ولم يلمسها أي

بشري يسكن هذه الأرض، مهمتك أن تجد الكتاب المنشود، وتحضر روح زوجتك الميتة! وإن نجحت، سوف أخلي سبيلها هي وابنتك، وسوف أخلصكم من المخلوقات التي بإمكانها أن تمحوكم من الوجود بنيرانها وبإشارة مني.

إنها تريدني أن أفعل شيئاً لا أؤمن به! تريد أن أضرب بقناعاتي عرض الحائط!

- ما اسمك؟

لاحظت بأنها ضحكت من سؤالي، فقالت مترددة:

- وما الذي سيفيدك لو عرفته؟

- أعتقد ليس من الإنصاف أن تعرفي اسمي وتفاصيلي، وتضعيني في هذه الدوامات الغريبة، وأنا لا أعرف مع من أتعامل؟!.

ابتسمت لي بخبث، وقالت:

- ليس من حقك أن تعرف شيئاً، ولكني في مزاج جيد، اسمي هو إيزابيلا. ابدأ بمهمتك!

قالتها واختفت! يا إلهي كيف سوف أنجح؟

حصري 2025
https://t.me/

صعدتُ إلى الطابق العلوي، فوجدتُ فوضى عارمة في المكان! جميعهم يبحثون عن شيء ما! ويبدو عليهم الخوف والقلق! قلتُ مستغرباً:

- ماذا بكم؟ عمَ تبحثون؟

سألتهم، فركض الحارس جايكوب إلى الأعلى، وفعل الشيء نفسهُ لوكاس، ولكنه اتّجه إلى الطابق السفلي، أجابتني صوفيا بصوتٍ باكية:

- الطفلة روز اختفت! لم نجدها في أي مكان! ولم يبقَ من أثرها سوى دميتها.

قالتها، وأشارت إلى دمية روز المرمية على الأرض. حملتُها فوجدتها ممزّقة، وعليها قطرات دمٍ! أصابتني الصدمة؛ فقلتُ لصوفيا:

- كيف حدث ذلك؟

- أقسم بأنني كنتُ أراها أمام عيوني تلعب بهذه الدمية، وماهي إلا لحظات تغافلتُ فيها عنها، ثم انتبهتُ والتفتُ إليها ولم أجدها، لقد اختفت يا ماتيو! لقد خطفوها!

حاولتُ أن أهدئ من روعها، فقلتُ لها:

- سوف نجدها لا تقلقي.

جلست صوفيا على الأرض، محاولة التحكم بمشاعرها المنفجرة، فقالت متأثرة:

- إنني مرهقة يا ماتيو! مايحدث هنا، لا يستطيع تحمّله أي شخص، سوف نموت من هذا الرعب، أو من حر الجحيم الذي ينتشر في المكان!

جلستُ بجانبها، وأمسكتُ يدها بحنان:

- لكل بداية نهاية يا صوفيا، ولم نعث من البرد القارس الذي تعرضنا له، ولن نموتَ من هذا الحر الشديد.

- صحيح، كل بداية ولها نهاية، ولكن بدايتنا رعب، ونهايتنا عقيمة كسحابة بلا أمطار! هذا ما أتوقعه!

قالتها، وأغمضت عينيها! المسكينة نامت من شدة تعبها!

فجأة... عاد جايكوب ولوكاس بوجهين شاحبين، فسألتهما بلهفة:

- ماذا جرى معكما؟

- لم أجدها! قالها لوكاس، وعطس والدموع تتساقط بغزارة من عينيه.

جايكوب ردّ عليّ ببرود، يُخفي خلفه خيبة أمل كبيرة:

- أنا أيضاً لم أجدها!

كانا ينظران إليّ، وكأنهما ينتظران حلاً ما مني، ولكني للأسف أريد الشيء ذاته منهما، فقلتُ مطمئناً:

- أنا متأكد بأننا سوف نجدها! فالقصر كبير، وهي طفلة، ومن الممكن أن تكون مختبئة في مكان ما!

فجأة سقط لوكاس على الأرض، وبدأت حالته تتأثر من جديد، كان يعطس ويبكي ويصرخ قائلاً بأنه سوف يموت من الحر، لقد تعودنا على نوباته المرعبة. جلبتُ إحدى الجرائد الموجودة، وبدأتُ بتحريكها فوق رأسه بسرعة، وسرعان ما بدأ يصحو ويهدأ من جديد، لم يقل لي شيئاً، ابتسم بهدوء، أعتقدُ بأنه بدأ يشعر بالإحراج منا بسبب حالته الصحية.

جلس كل واحد منهما في مكان، بدأنا نبتعد عن بعضنا البعض، ولا أعلم ماهو السبب؟، لربما الخوف! أقرب شخص لي هي صوفيا، التي بدأت أنظر إليها بطريقة مختلفة! هل من الممكن أن أفكر -ولو قليلاً - ببدء علاقة معها في هذه الظروف الملعونة؟

أنا إنسان واقعي من الدرجة الأولى، ولا أميل إلى هذا الموضوع في غالب الأحيان، فحياتي كرّستها لأبحاثي العلمية، ولكن لو دقّ قلبنا المسكين، فكيف نستطيع أن نلومه؟

قررت أن أبدأ خطتي في الاستكشاف، وأول من سأستجوبه هو لوكاس، ذهبت إليه، وقلت بلطف:

- كيف حالك الآن يا صديقي؟

نظر إلي بخوف، وقال بتردد:

- أنا... بخير! هل تريد مني شيئاً؟

صدمني بجوابه! وكأنه يصدّني منذ البداية، فقلت بهدوء:

- نعم! أريد أن أسألك عن شيء معين، لوكاس: هل يحدث لك شيء غريب في هذا المكان؟

نظر إلي ببلاهة، وقال:

- وهل ترى شيئاً طبيعياً في هذا المكان؟ كل مايجري هنا ينطبق على كلمتك: غريب!

- لم تفهمني يا صديقي! هل يزورك أشخاص مرعبون؟ ويطلبون منك مهمّات غريبة؛ لتخطّي الظروف الصعبة التي نمرّ بها؟

تحولت ملامحه، وأصبح وجهه شاحباً، وعطس مرتين، وقال:

- وكيف لك أن تعرف كل هذا؟

شعرت بأنني وصلت إلى نتيجة! هذا يعني أنّ كلام المخلوقة المرعبة إيزابيلا يحدث حقيقةً!، وأنه ليس خيالاً أو وهماً! فقلت محاولاً ألّا أكشف الكثير:

- من يزورك سراً؟ وماذا يطلبون منك؟

نهض من مكانه، وقال غاضباً:

- لالا!! لا أستطيع أن أتحدّث عن هذا الأمر!

تركني وذهب إلى الطابق العلوي! ردّة فعله الكبيرة ثبّت صحة وجود إيزابيلا! ألقيت نظرة على الحارس جايكوب، فوجدته ينام ووجهه يتصبّب عرقاً من الحر، فقررت أن أتركه في حال سبيله. ذهبت إلى صوفيا الشاردة والحزينة!

- هل أستطيع أن أزعجك بأحاديثي؟

خرجت من شرودها، وقالت بلطف:

- أحاديثك بالنسبة لي كالغيوم الجميلة، التي تحمل بداخلها أمطاراً تغسل أرواحنا من السيئات، وهي عالم أشبه بالجنة!

كنت أجهل كيف أبدأ حديثي الغريب!، كان الأمر سهلاً عليّ مع لوكاس، ولكن صوفيا أصبحت كنقطة ضعف، لا أريد إحراجها، أو تحميلها أكثر من طاقتها، فقلت بوجه حائر وبنظرات منكسرة، لم أكتشفها لأحد طوال حياتي:

- أنا خائف يا صوفيا، وهذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بمعنى الخوف!

لمست يدي بحنان بالغ:

- جميعنا خائفون، ولكن ماهو سرّ شعورك؟ هل هناك شيء معين يجري معك؟

لقد سهلت لي مهمتي! فقررتُ أن أكشف جميع أوراقي:

- طوال وجودنا في هذا القصر، كانت تظهر لي مخلوقة لا أعلم: هل هي بشرية مثلنا أم لا؟، تطلب مني أشياء غريبة، وصل بي الأمر بأنني ظننتُ أني قتلتُ الحارس جايكوب، قتلته بيدي يا صوفيا!! ولكنه نهض من موته!

كنتُ أحدّثها وأرى تقلبات وجهها، سقطت دموعها الحزينة، وقالت بهدوء:

- وهل تظنّ بأنني سوف أتهمك بالجنون؟ أنا أصدقك يا ماثيوا

في الواقع، لم أتوقع هذا الرد منها:

- وما الذي يجعلك تصدقينني؟

أخذت نفساً عميقاً، ومن ثمّ لمست وجهي بأطراف أصابعها بطريقة غريبة، وقالت بحزن:

- لأنني قتلتك قبل ليلتين! ولنفذتُ ماقالته لي المخلوقة ذاتها التي تتكلم عنها. لقد وعدتني أن توقف العاصفة الثلجية التي كنا سنموت من تأثيرها، وهددتني بأنني إن لم أقتلك، فسوف تقتل الطفلة روز، ولكن ما أفزعني حقاً بأنك نهضت من موتك! كما نهض الحارس جايكوب عندما قتلته حسب كلامك.

لم تهزني حقيقة قتلها لي! ولكن هذا يعني بأن جميع من في المكان قتلى! ولا أريد أن أفكر ماذا جعلوا الطفلة روزا تفعل! يا للمسكينة! أتمنى أن أعرف كيف اختفت!

أمسكتْ صوفيا يدي، وقالت وهي تضغط عليها:

- أريد أن أعرف ماذا جرى عندما وجدتني في الأسفل مغمى علي؟ وما الذي فعلته هذه المرأة المرعبة التي تخرج لنا كلّنا؟

حاولتُ ألّا أبين توتري، وهي ممسكة بيدي بهذا الكم من الحب:

- آخر شيء رأيته قبل أن يغمى علي، نزلها حبات من الرمال الملونة! سقط على رأسنا، ومن بعدها لم أشعر بشيء.

سحبتْ يدها من يدي بسرعة، وقالت خائفة:

- وهل مافعلته هو ما أوقعنا في شباك الحب؟ هل إعجابنا ببعضنا، وعلاماتُ حبنا...مجرّد سحر؟

أنا من أمسكتُ يدها هذه المرّة، وقلتُ بصدق تام:

- السحر لا يتحكّم في الحب يا صوفيا، وأنا قلبي لم يدق بهذه الطريقة من قبل، كلّ مانشعر به واقعي.

لاحظتُ التعب مرتسماً على وجهها الملائكي، فقالت بإرهاق:

- هذا الحزّ يقتلني! أريد أن أنال قسطاً من الراحة! هل من الممكن أن تساعدني؟ أريدُ أن أذهب إلى إحدى الغرف في الطابق العلوي.

- بالتأكيد!

نهضنا سوياً، وساعدتُها في صعود الدرج. شعرتُ بثقل خطواتها، فجعلتُها تتكئ عليّ بشكل أقوى.

وصلنا إلى إحدى الغرف. اختفت العاصفة الثلجية، وعادت أنوار القصر مشعّة، لكن من كان يظن بأننا

سنتعذب مجدداً، وهذه المرة من الحزن!

تركتها تنام على السرير، ومن فرط غبائي غطيت جسدها بالغطاء، وسرعان ما رمته على الأرض، وصرخت:

- سوف أجن يا ماثيو! هذا الحر سوف يقتلني!

وضعت يدي على رأسها، لقد كان محروراً! وأتوقع بأنني أمرّ بالأعراض ذاتها! ولكننا دائماً نتحمل الكثير، ولا نهتم بجروحنا وبتعبنا، فقط نهتم لمن نحبه!

نظرت إلي، وقطرات العرق تسقط على خدها، كنت أمسحها بحنان بالغ. أمسكت يدي وقالت:

- إياك أن تتركني! أريد أن تتصل روحك بروحي، أريدك أن تكون معي طوال الوقت.

ابتسمت لها، وقلت مطمئناً:

- لن أتركك أبداً!

جذبتني بقوة نحوها، وقالت صارخة من فرط الحب:

- أنت لا تفهمني! أريد أن أشعر بك، بجميع أحاسيسك وأحلامك!

لم أستطع أن أخفي ما أشعر به! هي تريد، وأنا أريد الشيء نفسه! فلبيت طلبها، وحدث ماحدث!

Page 48 / 84 - 13 -

حرصت أن أتأكد بأنّ صوفيا قد نامت، ولا أريد التفكير كثيراً بما حدث بيننا، توجهت إلى الطابق السفلي، فوجدتُ غرفة المعيشة خاليةا أظن بأنّ الجميع نيام في الأعلىا

دخلت من الباب المؤدي إلى الطابق السفلي، أخذتُ القليل من الطعام الموجود في المخزن، وأكلته سريعاً لكي أحافظ على نشاطي ويقظتي. توجهتُ إلى غرفة المكتبة، وهنا صدمني الواقع المريرا كمية الكتب الموجودة مهيبة! فكيف سوف أجد الكتاب المنشودا

تربدني أن أحضر روح زوجتي المتوفية، وبالطبع تطلبُ مني أن أبحث عن إبرة صغيرة في كومة قش كبيرة! في آخر مرة كنتُ فيها موجوداً في هذه المكتبة، لم أتمعن جيداً بالكتب جميعها! لأنّ ما يحدث حولنا، لا يجعلنا نرى أوضح وأبسط الأشياءا.

جلستُ إلى الطاولة الكبيرة أفكر بخطوتي القادمة! لأنني أعلم بأنّ قرارات الإنسان وهو في خضم مشاكله، دائماً ما تكونُ متسرعة، وتلقيه في الهلاك! ويكفيني حجمُ الهلاك في هذا القصر والذي أعيشهُ يومياً.

بدأتُ أفكر بزوجتي وبابنتي، فراقهما صعب، وكيف لا! وفراق الأحباب مميتا بغيابهم لا تستطيع أن تضحك كالسابق، لا تتمنى شيئاً سوى بضع دقائق جديدة معهما رحم الله جميع أمواتنا الغاليين.

وقع الحريق الكبير في شهر أبريل، نعم، فقدتهما في أبريل النحس! هذا الشهر الذي يشتهر بكثرة الأكاذيب في أيامه الأولى، ليت وفاتهما كانت كذبة أبريل لا أكثرا كرهتُ هذا الشهر وأيامها! وفي كل سنة عندما يحلُّ موعده، يتفجّر كل شيء بيا شخصيتي... مزاجي... أفكاريا هو الشهر الملعون في حياتي!

كانت زوجتي لطيفة جداً! ولم يكن هناك العديد من الأشياء المشتركة بيننا! فهي لم تؤمن بنظرياتي وأفكاري، كان لها مبدأ آخرا وهذا ماجعلني أعشقها! فالكثير من البشر يريدون شريكاً لحياتهم مطابقاً لهم في الهوايات والأفكار، ولكن أين المتعة في هذا؟ لأنّ مصيرهم سيكونُ في وقوعهم في فخ الملل! ولكن مع اختلاف الشخصيات في الطباع والأمزجة،فأنت على موعد مع مغامرات جديدة كل يوم!

بدأتُ أتمعن في رفوف الكتب الموجودة، لاحظتُ بأنها تحملُ أرقاماً متسلسلة! لا أعلم كيف فكرتُ في شهر أبريل الملعون، وأنا أتملى أرقام الرفوف والكتبا فقررتُ أن أتبع حدسي في الموضوع!

وقفتُ أمام المكتبة التي تحمل رقم أربعةا رأيتُ كتباً تاريخية ودينيةا لا شيء غريب هنا! كنتُ سأرجع إلى مكاني، ولكنّ عيوني وقعت على كتاب في أعلى المكتبةا لونه غريبا جلبتُ إحدى الكراسي، واستخدمتها لإحضار الكتاب، عانيتُ كثيراً بسبب مكانه المرتفع، بدأتُ ألمس أطرافها سوف ألتقطهاا ولكني فقدتُ توازني، وسقطتُ على الأرض بقوةا رأسي بدأ يؤلمني بسبب ارتطامه بالأرض، ولكني ابتسمتُ دون أن أشعر؛ لأنّ الكتاب أصبح بيدي.

رجعتُ إلى الطاولة. تمعنتُ في الكتابا لونه أسود، وبه نقاط حمراء مضيئةا حروف اسمه غريبةا أظنّ بأنني أعرف هذه اللغة، ولكني لستُ متمرساً بهاا إذن رحلة بحثي بين الكتب لم تنتهِا

نهضتُ من جديد، وصرتُ أحاول أن أجد كتاباً يترجم اللغة اليونانية، نعم أنا متأكد بأنها تلك هي لغة الكتابا

استمرّ بحثي قرابة نصف الساعة، ولكني أخيراً، وجدتُ الكتاب المنشودا

وضعتُ الكتابين أمامي، وفتحتُ كتاب اللغة اليونانية، وبعد دقائق، ترجمتُ عنوان الكتاب الغريب:

"تحضير الأرواح"

إذن هذا هو اسمها! إنه الكتاب الذي أبحث عنها! حدسي كان في مكانها!

فتحت فصول الكتاب العربية، وترجمت صفحاته، ولم يتعبني كثيراً، لأنه يحتوي على صفحتين فقط!

فهمت الطريقة الصحيحة للتحضير، فأغلقت الكتب، وسقطت من عيوني دمعة! مع سقوطها انهارت معتقداتي ودراساتي جميعها! إنني على وشك دخول عالم، وأنا كلي ثقه بعدم وجوده! عالم كله خزعبلات وتفاهة!

لا أستطيع حتى أن أذكر لنفسي الشروط المكتوبة للتحضير، لأنها مخجلة! وتجرد الإنسان من مبادئه وكرامته! ولكني بدأت، ومنذ أن قلت أول كلمة خاصة بالتحضير، انطفأت الأنوار وشعرت ببرودة لم أشعر بها أثناء العاصفة! وكأنّ جحيم الحرارة الذي نعيشه قد اختفى!

انتظرت، وداخلني مزيج من الشك والخوف، هل قمت بالتحضير بشكل خاطئ؟

فجأة شعرت خلفي بدفء غريب! وبدأ الدفء يزداد! وكأنّ جحيم الحر قد عاد! التفت، فوجدت زوجتي مشتعلة بالنيران، لقد كانت تبكي، وتمد لي يدها! الشوق واللهفة يطلبان مني أن آخذها في حضني! ولكني سوف أحترق لا محالة لو لمستها، فقالت لي بصوت مجروح:

- إننا نحترق ونتعذب طوال هذه الفترة، ولكني كنت متأكدة بأنك سوف تنقذنا!

بكيت ليكالها، وقلت بحرقة:

- من يعذبك يا حلوتي؟ أين أنتِ الآن؟ على قيد الحياة؟ أم وافتك المنية كما أعرف؟

تحولت عيناها لتأخذا شكلاً مخيفاً! وكأن النيران انتقلت إليهما، وقالت بنبرة وحشية:

- روحي معلقة بين السماء والأرض، يعذبونني، ويحرقونني، وكل هذا يحدث بسببك!

- أنا؟ وماذنبي يا حبيبتي؟

كانت تنوي أن تقول شيئاً، ولكنها انفجرت، وتحولت إلى رماد متناثر على الأرض، وسرعان ما جاءني صوتها المقرف! وهي تقهقه دون رحمة أو إحساس! إنها إيزابيلا المخيفة! نظرت إليها بحقد دفين! تمنيت لو أنني أملك أبواب الجحيم، لكي ألقيها خلفها، وأستريح منها! قلت لها غاضباً:

- أين زوجتي وابنتي؟ ماذا حدث لهما؟

ضحكت بخبث، قائلة:

- هل تؤمن بنا يا ماثيو؟

- لن أؤمن بالسحرة أبداً! هذا حلم، وسوف أستيقظ منه لا محالة!

أكملت ضحكاتها المستفزة، وقالت بشر:

- لا عليك! لن تؤمن فحسب! سوف تخضع لنا بكل مالملك! يوماً ما يا ماثيو! ولا تقلق على زوجتك وابنتك، فهما خزّتان الآن، وقبل أن أرحل! أريد أن أسألك: هل تشعر باختفاء موجة الحر الشديد؟ تهانينا، لقد نجحت!

قالتها واختفت! وتركتني أبكي، وألعنها بأعلى صوتي!

قررت أن أستجمع قواي، لا أريد أن أسقط في فخ الخذلان! هرعت إلى الأسفل بأقصى سرعتي، أريد أن أعرف ما الذي حدث بعدما توقفت حرارة النيران في الخارج، هل سوف ينتهي هذا الجحيم؟

وصلت، ورأيت صوفيا تقف أمامي بوجه مصدوم! باب القصر كان مفتوحاً، ويدخل منه شعاع أزرق اللون، لا أعلم لماذا شعرت بالدوار! سألت صوفيا خائفاً:

- ماذا يجري يا صوفيا؟

رفعت إصبعها المرتجف باتجاه الباب المفتوح، ذهبت إلى الخارج؛ فرأيت جايكوب بوجهه المصعوق، ولوكاس وهو يبكي ويعطس، ما الذي أراه! هل هذا حلم؟

القصر يطير في الفضاء، لا أرى أسفلنا سوى السواد! وهناك دائرة تحوم حول القصر بلونها الأزرق المشع! قلت غير مصدق ما أراه:

- أين نحن؟

قال جايكوب بنبرة مستسلمة:

- إننا ندور وسط لعنة جديدة، لن تنتهي إلا بموتنا!

صرخ لوكاس بأعلى صوته، وقال:

- لا أستطيع أن أتحمل المزيد! أريد أن أموت!

حاول أن يرمي بنفسه من الأعلى، حاولت أن أمسكه مع جايكوب، وساعدتنا صوفيا وهي تحاول أن تمنعه، ولكننا لم نستطع ردعه عن مراده! رمى بنفسه من الأعلى، صرخت صوفيا بأعلى صوتها غير مصدقة ما يحدث، أما أنا وجايكوب فاستسلمنا لدموعنا المنهمرة بكل خيبة وخذلان!

و ماهي إلا ثوان، حتى سمعنا صوت ارتطام قوي داخل القصر، هرعنا مسرعين إلى الداخل، فوجدنا لوكاس يسقط على الأرض، لقد وقع من الأعلى، وأصبح سقف المكان مكشوفاً!

ساعدته كي ينهض، فبدأ يبكي من جديد، ويصرخ ويقول بأسى:

- كيف لم أفكر؟ هل تصدق الآن يا ماثيو بأننا وسط لعنة غريبة! مايحدث لنا ليس من فعل البشر!

اقتنعت بأن حالته في هذا الوقت، لا تصلح للمناقشة أبداً، فقلت له مطمئناً:

- لا عليك يا صديقي! حاول أن ترتاح!

وجهت نظري إلى صوفيا الشاردة، كانت ملامحها مرهقة جداً، فلبيت نداء القلوب، وذهبت لكي أخفف عنها:

- هل أنت بخير يا صوفيا؟

أمسكت معدتها، وبدأت تعتصرها بطريقة غريبة، وقالت متألمة:

- إنها تؤلمني! أشعر بإحساس غريب! وكأن هناك شيئاً يتحرك في داخلي!

فجأة بدأت تتقيأ! خرج من فمها سائل لزج، لونه يميل إلى الأخضر المشع! تجمدت في مكاني من هول ما رأيته! ولكن سرعان ما استجمعت أفكاري وشجاعتي، ورفعت شعرها الحريري إلى الأعلى، وحاولت التخفيف عنها. لوكاس وجايكوب ينظران لما يحدث بصمت وبحيرة. تقدم جايكوب، ولمس السائل الأخضر بإصبعه، وبدأ يتفحصه، ومن ثم قال والعرق يتفصد من جبهته:

- إنها هالكة لا محالة! ما أراه من لعنة، لم أشهدة أو أسمع به من قبل!

زجرته بقوة، محاولاً أن أرجعه إلى صوابه:

- كف عن هذه الخزعبلات، أريدك أن تجلس بعيداً، ولا تتفوه بأية حماقات أخرى!

ذهب إلى زاوية المكان مع أنفاسه المتوترة العالية، ولحق به لوكاس وهو يعطس بشدة. تركت صوفيا تنام على الأريكة، ووضعت يدي على رأسها؛ محاولاً التخفيف عنها مع ابتسامتي المضطربة! نظرت إلي مبتسمة، وقالت بهزيمة:

- أظنّ بأنني أول من سيموت، في هذا المكان المعلون يا هاثيو.

وضعتْ يدي على شفاهها الجافة:

- لن يموت أحد بيننا يا جميلتي، ولو استطعتُ أن أعطيك من عمري جزءاً، فلن أبخل عليك بأيامي وبسنيني.

أغمضتْ عيونها المنهكة، وهي تبتسم بسلام! فتركتها ترتاح قليلاً!

كان لوكاس وجايكوب يتحدثان في أمر ما! فوجهتُ سمعي إليهما. قالَ جايكوب موجهاً كلامه إلى لوكاس:

- ماذا حدث لك عندما قفزتَ إلى الأسفل؟ ماذا رأيت؟

سكتَ لوكاس بضع ثوانٍ، وعطس كعادته، ثم سألَ مصدوماً:

- عندما قفزتُ، كم استغرقتُ فترة غيابي؟

- ثوانٍ بسيطة، وسقطتُ من سقف القصر!

استمرتْ دهشة لوكاس، فأكمل حديثهُ بتوتر:

- شعرتُ بأنّ الثانية هناك كالشهر! رأيتُ جسدي يُرمى في جحيم ليس له بداية أو نهاية! وهناك أشخاص قبيحون، أجسادهم تلتهب بالنيران، يمسكون السلاسل المضيئة. عذبوني كثيراً، وشعرتُ بأن جسدي يحترق مرة تلو الأخرى، تمنيتُ الموت أكثر من أي شيء في الدنيا!

قاطعهُ جايكوب، بنبرة مشككة:

- هل تريدُ أن تقول لي بأنك دخلتَ الجحيم؟

عطسَ لوكاس لفترة طويلة، وبدأت عيونه تبكي بحرقة:

- نعم يا جايكوب! لقد رأيتُ الجحيم! وعندما استسلمتُ لعذابي، سمعتُ صوتاً أنثوياً يأتي من بعيد، يأمر من يعذبونني بالتوقف! سمعتُها تقول بأن وقتي لم يحن بعد! ووجدتُ نفسي أسقط من سقف القصر، بلا حروق أو نيران! ماذا يحدثُ لنا يا جايكوب؟

قالَ جايكوب مستسلماً:

- إنها اللعنة يا صديقي! بدايتها معروفة، ونهايتها مجهولة!

قررتُ أن أرجع إلى صوفيا، التي تعاني من شيء لم أرهُ من قبل! أريد أن أخرجها من حالتها الغريبة، فخطرَ في ذهني تحدٍ لربما يساعدنا في شيء، قلتُ لها طالباً المساعدة:

- صوفيا، أن أعلم بأنكِ منهكة، ولكني أحتاج مساعدتكِ في أمر ما!

- أي شيء تريدهُ يا عزيزي سوف أفعله، فأنت من يجعلُ الإنسان يفقدُ رشدهُ لأجلك، وأنت من يجعلُ القلب مجنوناً بك!

ابتسمتُ لها بلطف، وقلتُ بنبرة جادة:

- الطفلة روز! لا أستطيع أن أصدق بأنها اختفت بطريقة غامضة! وأرجوكِ لا تشككي في كلامي، حتى في وسط العواصف الغريبة التي نمرُ بها! أنا متأكد بأنها تختبىء في مكان ما! لربما تشعر بالخوف مما يحدث في القصر.

قالت بروح مشجعة وحماسية:

- إذن: ماذا ننتظر؟ أين تريد أن نبدأ في بحثنا؟

- دعينا نتوجه إلى الطابق السفلي، قلبي يقول لي بأنها موجودة في الأسفل!

بخطوات ثقيلة من صوفيا، وبمساعدتي، نزلنا إلى الطابق السفلي! ورأيت شيئاً ليس جديداً ولكنه غريب، وفرحت لأن صوفيا معي هذه المرة، لأنهم لن يصدقوني كما حدث آخر مرة! إنه الباب الذي يقع في المنتصف، إنه مفتوح كما كان في السابق، عندما كنت هنا لوحدي! وتخرج منه تلك الإضاءة نفسها! أسمع همسات لا أفهم معناها! ثرى من يوجد في الداخل؟

- ماذا يوجد في هذه الغرفة؟ فأنا لم أزها مفتوحة من قبل! سألتني صوفيا، فأجبتها بحماس:

- لقد دخلتها في السابق، ولم تصدقوني، لربما نجد روز فيها، دعينا ندخل، وخذي حذرك!

دخلنا بخطوات مرتجفة! وبمجرد أن تخطينا الباب، أغلق بقوة أحدثت ضجة في المكان! رمقتني صوفيا بنظرة مرتعبة، وبادلتها النظرة ذاتها !

رفعت إصبعها نحو أحد التماثيل الموجودة أمامنا، وقالت بخوف:

- يا إلهي، ماذا يحدث له؟

بطريقة غريبة، كان التمثال يذوب! وبدأ الشخص المحنط باسترجاع لونه البشري الطبيعي. عيونه ترمش بقوة مهيبة، وكأنه لم يرمش منذ سنوات! جسدة ابتلّ بالماء الأصفر المشع! لم يهزنا أي اهتمام، ولم يستغرب لوجودنا، تقدّم إلى منتصف المكان، وهو يمشي مكسوراً، خائفاً من شيء يجهله! فلحقنا به؛ لكشف هويّته ومزه!

توقّف بعد خطوات بسيطة، فاختبأنا كي نراقب ما سيفعله.

إنه يقف أمام طاولة سوداء اللون، قديمة ومتهالكة، تشتعل النيران بين أطرافها! يجلس حولها ثلاثة أقزام! بشرتهم صفراء كالمرض! لا يملكون أيادٍ! آذانهم طويلة جداً، تصل إلى السقف! شفاههم سوداء، وأفواههم بلا أسنان! أمامهم مطارق حمراء اللون، مدببة بشكل مرعب. ارتفعت المطارق الثلاثة، وضربت على الطاولة بقوة! فتكلّم الأقزام بنفس واحد منهم، موجهين حديثهم للرجل الغريب:

- أنت أيها البشري: تحت المحاكمة! هل تؤمن بنا الآن؟

بكى الرجل بحرقة، وصرخ متألماً:

- نعم... نعم! أنا أؤمن!

أكملوا حديثهم بقسوة، دون رأفة بحالة الرجل:

- أنت محكوم عليك بالعزلة البشرية، لن يستطيع أحد أن يكتشف سر اختفائك! وهذا جزاء من لا يؤمن بنا!

ضربت المطارق من جديد، ومع صراخ الرجل، بدأ جسدة بالتحلّط من جديد!

شعرت بأنفاس صوفيا العالية والمرتعبة، فأمسكت يدها، وركضنا إلى الباب، ولا أعلم ما الذي حدث! ولكنه فُتح من تلقاء نفسه، فخرجنا، وأغلق من خلفنا!

سقطنا على الأرض، محاولين أخذ أنفاسنا! ولكني عندما وقفت من جديد، استمرت الأحداث الغريبة والمرعبة! كانت الطفلة روز تقف أمامنا! بثيابها الممزقة! إنني أرى جميع تفاصيل جسدها الطفولي.

تقدمت نحوها صوفيا، وقالت بنبرة مصدومة، وعيناها دامعتان:

- أين كنت يا طفلتي؟

رفعت الطفلة روز إصبعها نحونا، وقالت بصوت لم يكن لها:

- إنني بداخلكم كالنقطة الصغيرة! ولكني سوف أكبر مع الأيام، لا تحاولا البحث عني! فأنا ذاهبة إلى أمي!

بدأت تصعد الدرج ببطء، فركضت نحوها، محاولاً إمساكها! مددتُ يدي، ولكني سقطتُ على الدرج، وأنا ألمس السراب... لقد اختفت!

حصري على موقع: https://t2025.com

جلسنا جميعاً في غرفة المعيشة، السكوت هو سيد الموقف، والشرود والتفكير والخوف لم يفارقونا أبداً! لكل واحد فينا مشاعر مختلفة، أفكار غريبة! ولكنها جميعها تقود إلى الموضوع الأساسي ذاته: سرّ هذا القصر! ومايحدث فيه، وماهو مصيرنا في النهاية، هل سنعيش؟ سنختفي كما حدث مع الطفلة روز؟ أم سنموت في نهاية الأمر!

حاولت أن أكسر هذا الصمت، فقلت متسائلاً:

- إذن، لم أكن وحدي أمرّ بحالات غريبة ولا تفسير لها! جميعكم كانت تظهر لكم المرأة المخيفة، وتطلب منكم النجاح في مهمات متيرة للاستنكار والقرف!.

عطس لوكاس، وأدمعت عيناه قائلاً:

- كنت أشعر بأنني وصلت إلى أقصى مراحل الجنون! كانت تطلب مني أشياء غريبة! أن أقتل واحداً منكم، أو أحضر أرواحاً ميتة! أن أفعل أشياء لا أفقه فيها شيئاً! ولم أعزها أي اهتمام من قبل!

قرّر جايكوب أن يدخل في نقاشنا، فقال بنبرة مريبة:

- جميعنا طلب منا أداء الأفعال ذاتها ! والأسباب مجهولة! والمرأة المريبة لا أحد يستطيع أن يكشف سرّها الغريب!

تغيرت ملامح صوفيا، وقالت بوجه بلا مشاعر:

- كلامك صحيح يا جايكوب! كلّ ماقلته منذ البداية لم تخطىء به! إننا نلعب مع لعنة ما! وأنا أشعر بأنني أخذت النصيب الأكبر من التعذيب! أولاً القتل، ثانياً تحضير روح جدتي الطيبة، ثالثاً اختفاء الطفلة روز التي شعرت بأنها قريبة مني! وبعدها قلبي بدأ ينزف!

قالتها، ونظرت إليّ رغم دهشة الباقين، فأكملت حديثها:

- والآن أشعر بأنني جسد بلا روح! لا أملك القدرة على فعل أي شيء!

غدنا إلى مرحلة الصمت من جديد! لكني كنت أبذل مجهوداً كبيراً كي يستمرّوا في الحديث، فقلت مستغرباً:

- تخلّصنا من العاصفة الثلجية، ومن ثمّ الحرارة المميتة! وأصبحنا الآن في بقعة من الفضاء! هذا يعني بأنّ هناك تحدّياً جديداً ينتظرنا جميعاً! فمن يتسلى بنا بهذه الطريقة البشعة لم يشبع إلى الآن! وإلا لرأينا أنفسنا خارج هذا القصر، نمارس حياتنا الطبيعية!

- أو نموت في النهاية يا سيد مانيول، قالها الحارس جايكوب، بصوت لا يداخله الشك!

- ماهي أمنياتكم في هذه الحياة، يا رفاق؟

سألتهم، وكأنني الشمعة التي تضيء مصابيحهم المظلمة، والخالية من الأحاديث!

- أتمنى أن أثق بنفسي أكثر! وأن ينتهي مرضي الذي يخجلني أمام الناس! العطاس والتوتر! قالها لوكاس!

- أتمنى أن أخرج من هنا، وأهتم بالقصر كالسابق، وأعتني بورود الحديقة كما أحب أن أفعل! قالها الحارس جايكوب!

- أتمنى أن أجد الطمأنينة في حياتي! وأن أسترد صوفيا القديمة الفشعة بالأمل والنجاح! قالتها صوفيا!

جميعهم تمنوا وهم وسط هذا القصر، الذي يحطم آمالنا وأحلامنا الكبيرة!

فجأة! ضحك الحارس جايكوب بطريقة غريبة! نظرنا إليه، وكنت خائفاً من احتمال أن يكون قد جنّ! سأله لوكاس باستغراب:

- ماذا بك يا جايكوب؟

توقف عن الضحك، وقال مبتسماً:

- أشعر بأنني أعرفكم منذ سنوات! ولكن ماكنت أخفيه عنكم، هو أنني كرهتكم منذ أن رأتكم عيوني!

لوهلة، صمتنا جميعاً عند سماع كلامه! ولكننا انفجرنا ضاحكين، فقال لوكاس:

- إنه شعور متبادل، يا صديقي!

استمرّ الضحك لدقائق! والمزاح انتشر بيننا بطريقة جميلة! فاقتربت صوفيا مني هامسة:

- وأنا أيضاً كرهتك بشدة! ولكني الآن أحبك! وماحيلة قلبي يا ماثيو لو كان يعشقك؟

ابتسمتُ لها، وضغطتُ على يدها بحنان بالغ، وقلتُ في قلبي:

- وأنا أيضاً أحبك!

https://t.me/pdfstories

أصبحنا لا نعلم شيئاً عن توقيت العالم الخارجي! ندور حول فضاء غامض! لا ضوء للشمس! ولا أضواء تعكس غلاف الكرة الأرضية! صرتُ متأكداً بأننا نعيش في مجرّة لم تُكتشف من قبل!

مع حيواتي المتكررة في هذا المكان، كنتُ أجلس مع صوفيا معظم وقتي، وجهها يجلب لي الأمل الذي قُتل في داخلي! إنها تنام أمامي على سريرها، تنعم بالأمان والحرية في أحلامها الوردية.

بعد ما حدث لنا كلّه، مازلتُ أؤمن بداخلي بماثيو الذي يسكنني، أثق بأن مايحدث لنا له تفسيرٌ ما! لا عقلي ولا دراساتي وخبرتي جعلوني أصدق مايحدث لنا، أو أؤمن به!

ولكن، من المستفيد من كوابيسنا الواقعية؟ من سيضحي بأموال طائلة، فقط لوضعنا في هذا القصر، وترهيبنا بهذا الشكل؟ والسؤال الأهم، لماذا نحنُ بالذات؟ على ماذا اعتمد اختيارهم للضحايا؟ هل هي تصفيات لحسابات قديمة؟ هل هناك أعداء للأشخاص الذين يعانون معي في القصر؟ تساؤلات كثيرة! وأفكار مبعثرة، ولكن أين الحقيقة يا ماثيو؟ حقاً... لا أعلم!

فجأةً، استيقظتْ صوفيا صارخة من نومها العميق! آهاتها القوية جعلت جسدي يرتجف بقوة! ركضتُ نحوها، أمسكتُ يدها! صرختْ مجدداً بصوت أعلى! وضعتْ يدها على معدتها وقالت:

- ماثيو... إنني أحتضر!

أزلتُ غطاء السرير عنها، رأيتُ بطنها ينتفخ كالبالونة التي تريد أن تنفجر! تجمدتُ في مكاني! كنتُ أظن بأنني لا أُقهر! لديّ الحلول جميعها لكل طارئ، ولكنني في هذه اللحظة أصبحتُ جاهلاً! لا أعلم ماذا يحدث لها.

استمرّ بطنها في الانتفاخ! وضعتْ يدها على فمها محاولة عدم إخراج شيء ما! وجهها بدأ يزرق! وفجأة! تقيأت على السرير! خرج منها سائل لزج أسود اللون!

توقف بطنها عن الانتفاخ! أصبح حجمه لا يُصدق! شعرتُ بالدوار وأنا أنظرُ إليها وهي بهذه الحالة، تصرخ وتبكي! وفي النهاية! أغمي عليها، وأغمي عليّ أنا الآخر في أحضانها!

http://t.me/Tfreeb

في مكان ما في إحدى السماوات، وقبل الميلاد بفترة غير معلومة. ظهر شخصان وهما يجلسان في السماء البعيدة، على كرسيين حول طاولة، يتكون الكرسيان من السحب الكثيفة والممطرة، التي تذرف قطراتها على الأراضي في الكون الشاسع.

على الجانب الأيمن، يجلس رجل جسده يتميز بالضخامة، شرارة عيونه الحمراء تدل بأنه مخلوق من نوع غريب! لا يملك أي شعر فوق رأسه. في الجهة المقابلة، تجالسه فتاة عيونها تُخفي خلفها خبرات السنين بنظراتها الثاقبة، شعرها خفيف جداً، ملامحها مفزعة، كالكابوس الذي يهجم على أحلامنا البريئة. فتحت فمها الصغير، وقالت:

- ما العمل الآن؟ البشر آتون إلينا لا محالة!

أخذ الرجل نفساً عميقاً، ومن ثم قال:

- نحن من سكنا الأرض منذ نشأتها، حتى قبل وجود مخلوقات الجن! نحن من يحكم ويأمر وينهى يابنتي، ووجود البشر لن يغير شيئاً من هذه الحقيقة.

- ولكنهم سوف يسكنون الأرض ويمقرونها، وسوف يتحكمون في كل شيء! في علوم الأرض وأسرارها وكنوزها! سوف يجلبون لنا الفوضى!

ضرب الرجل يده على الطاولة السحابية، فخرجت منها سحابات صغيرة وممطرة، وقال:

- نحن البراهته! وحتى مع قدومهم، سوف نحكمهم بقوانيننا، ولن نتهاون أبداً!

- حسناً، أنا لدي اقتراح، وأريدك أن تسمعني.

أشار لها بيده كي تتكلم، فقالت مرتبكة:

- لم لا نشكل حزباً قوياً؟ تجعلني أنا أشرف عليه؟ أختار مجموعة من البراهته، ولكل شخص منهم وظيفة، وبهذه الطريقة حتى مع قدوم البشر، لن نهتز أبداً!

نظر إليها بطريقة غريبة ومخيفة، قائلاً:

- وهل أصبحت تنظرين إلي على أنني شخص عاجز؛ إلى درجة أن تأخذي مكاني؟

نهضت من مكانها مسرعة، وجلست عند أقدامه، وهي تقول بكل احترام:

- لا تفهمني بهذا الشكل أرجوك! أنت سوف تكون الحاكم الأول بيننا! وهذه الخطة، ماهي إلا حلٌ لمشاكل ربما تواجهنا مع البشر!

أنهضها من مكانها، أمسك رأسها بقوة، وقال:

- حسناً! أنا موافق على حزبك الجديد، ولكن جميعكم سوف تكونون تحت سيطرتي، والأوامر لن تصدر إلا مني أنا! كي يعلم من هم على الأرض، ومن سيأتون من بعدهم، أن البراهته هم من يحكمونهم!

صحوتُ من نومي، ووجدتُ نفسي في غرفة المعيشة، قطرات ماء غزيرة تنتشر على وجهي. رأيت لوكاس يقف فوق رأسي، ويعطس متوتراً، نهضتُ، وقلتُ له غاضباً:

- هل تمانع أن تبتعد عني يا لوكاس، إنك تغرقني بلعابك!

كان جايكوب يقف عند صوفيا النائمة على الأريكة، محاولاً أن يجعلها تنهض، فقلتُ مستغرباً:

- ماذا جرى؟

حوّل جايكوب نظراته إليّ، وقال مرتبكاً:

- لقد غبتما بضع ساعات، بحثنا عنكما، فوجدناكما مغمى عليكما في غرفة في الطابق العلوي، وبطن صوفيا بدا وكأنه سينفجرا

نهضتُ من مكاني، ووضعتُ يدي على بطنها، شعرتُ بحركة غريبة تسري في أحشائها! جسدها يتعرق بغزارة! وحرارتها مرتفعة! خفتُ عليها كثيراً!

أمسكني جايكوب من يدي، وهمس لي مشككاً:

- سيد مانيو... هل حدثَ شيءٌ بينك وبين الآنسة صوفيا؟

نظرتُ إليه، وقلتُ مستغرباً:

- ماذا تقصد؟

تردّد قليلاً، ومن ثمّ قال بحذر:

- إنها... حبلى!

عطس لوكاس من جديد، والدموع ملأت عيونه، وكأنه يعاني من حساسية معينة، وقال غير مصدقٍ:

- مستحيل! كيف لها أن تكون حبلى؟

وافقته الرأي، وقلتُ غاضباً:

- كلام لوكاس صحيح! ولو كان كلامك صحيحاً، فكيف لبطنها أن يكبر بهذه السرعة؟

وضع جايكوب يدهُ على رأسه، إنه لا يعلم ماذا يصدق؟، فأصرّ على موقفه:

- سؤالكم لا أملك له إجابة! ولكنني متأكد بأنها حبلى... بلعنة!

ازداد غضبي عليه، فقلتُ بنبرة هادئة محاولاً أن أتحكم بأعصابي:

- أرجوك، لا تبدأ من جديد بحكاياتك عن اللعنات، وعن قصص الخيال التي لا تصدق!

اقتربَ مني، ورأيته ينظر إليّ بطريقة مفزعة:

- وهل غرورك يا سيد مانيو، يجعلك لا تصدق بأننا وسط لعنة، رغم ماحدثَ لنا وماسيحدث؟

أقسم بالله أنني أريدُ تصديقه، لكنني لا أستطيع! معتقداتي ودراستي وعلمي لا يسمحون لي!

نهضتْ صوفيا من نومها، ممسكة بطنها، متألمة، قالت بضعفٍ واضح:

- مانيو؟ ماذا حدث؟

هرعتُ إليها بشوقي وبخوفي، وقلتُ مبتسماً ابتسامة تحمل طمأنة خادعة:

- لقد شعرت بالتعب يا عزيزتي، فقررنا أن ترتاحي هنا؛ لكي نهتم بك.

شعرت بأنها سوف تكسر وتبكي، وهي ترى بطنها المخيف، فقالت خائفة:

- ما الذي يسكن جسدي؟ ماذا يحدث لي؟

تقدم جايكوب خطوة منها، وقال:

- أظنك يا آنسة صوفيا ... خيل...

قاطعته بغضب قائلاً:

- جايكوب! أرجوك، دعها ترتاح قليلاً، وسوف نتحدث لاحقاً.

أمسك لوكاس يد جايكوب، وجلسا في الطرف الآخر من المكان. وضعت يدي على وجه صوفيا، ومسحت قطرات العرق، فابتسمت لي، وقالت وهي تنظر إلى المدى البعيد:

- عندما كنت صغيرة، دائماً كنت أشعر بأنني لن أعيش طويلاً في هذه الدنيا، وهذا المكان أظنه سيقتلني، وأنا في بداية حياتي!

قلبي تمزق من كلماتها! ليتني أستطيع مداواتها، وإخراجها من هذا القصر الملعون، وأتمنى لو كان باستطاعتي أن أهديها من ساعات وسنوات حياتي؛ كي تعيش بسعادة وراحة!

- أنت لن تموتي هنا يا عزيزتي! سوف نخرج يوماً ما، ونعيش في سعادة لا تنتهي... أعدك!

أغمضت عينيها، وقالت مبتسمة:

- أحبك يا ماثيو، أحبك بامن وجوده يشعرني بالقوة!

قالتها، وغطت في نوم عميق!

ذهبت إلى لوكاس وجايكوب، وقلت:

- إنني أشعر بالضعف! أريد أن آكل!

- سوف أذهب معك؛ فأنا جائع. قالها جايكوب.

- هل تريد أن تأكل يا لوكاس؟ سألته بلا مبالاة!

هز رأسه بالنفي! فذهبت مع جايكوب إلى الأسفل، كان طريقنا هادئاً! لم تعترضنا مفاجأة ما كالعادة!

وصلنا، وبدأنا نأكل بصمت! فالكلمات أصبحت صعبة للغاية! والأحاديث الطبيعية باتت مفتقدة في حياتنا الحالية الصعبة!

- كم تبلغ من العمر يا جايكوب؟ حاولت أن أتحدث معه، كي نستعيد طبيعة الحياة المفقودة!

- مضى من عمري، أربعون عاماً.

نظرت إليه باستغراب:

- ماذا تقصد بأنه: قد مضى؟

ابتسم لي، وهو يكمل طعامه، وقال:

- عمرنا في هذه الدنيا مكتوب، ولا يتغير مهما تغيرت الظروف! فأنا لا أستطيع أن أقول بأن عمري كذا، ولكن الأصح أن نقول: بأنه قد مضى من عمرنا ما عشناه!

كلامه جميل، وأعجبني، فقلت مستغرباً:

- ماهو مستواك التعليمي يا صديقي؟

- لم أكمل دراستي؛ بسبب ظروف عائلتي الصعبة، تخلّيت عنها وعن أحلامي؛ لكي أعينهم على مصاعب الحياة القاسية في هذه الدنيا.

- ولكنك، وبغض النظر عن حديثك عن اللعنات، تمتلك عقلاً جميلاً، وكلمات موزونة.

ضحك بصوت عالٍ، قائلاً:

- أحياناً يستطيع الإنسان أن ينمو بعقله وبفكره دون الشهادة العلمية. لا أستطيع أن أقول بأن الشهادة ليست أهم شيء، ولكن لو وُضع الشخص في ظروف مشابهة لظروفي، فإنه يستطيع أن يتعلم من الكتب والأبحاث الموجودة في كل مكان، فالقراءة نوزنا في دروب العتمة، وأملنا وسلاحنا في مواجهة الجهل!

كلماتهُ أبهرتني! فسألتهُ متردداً:

- وهل تؤمن بأسرار الدنيا، وكل الغرائب التي تجري لنا في هذا القصر؟

نظر إليّ نظرةً ثاقبة، قائلاً:

- من لا يؤمن بالأسرار الكونية فهو جاهل، مهما تعلّم ودرس! فهو جاهلٌ!

رغم أنني شعرتُ بإهانة كبيرة، ولكني لأول مرة في حياتي، قررتُ ألا أخوض هذه المعركة، فأكملنا تناول طعامنا بكل هدوء وسلام.

https://t.me/pdfbooksfree

الرؤية مشوشة! ولا أشعر أنني بخير! كيف جئت إلى غرفة المعيشة؟ إنني مستلق ولا أستطيع أن أتحرك، مقيد بحبال غير مرئية! أشعر بثقل كبير في جسدي! لا أستطيع سوى تحريك عيوني الخائفة! لا يوجد أحد غيري! أريد أن أستغيث بأحد، فقلبي اختار اسمها قبل عقلي:

- صوفيا... صوفيا؟

لم أتلقَ أية إجابة!

فجأة، شعرت بدخول شخص إلى المكان! نظراتي بدأت تتراقص بذعر!

دخل أربعة أشخاص! ثلاثة منهم كانوا كما خلقنا الرب لأول مرة! ومختبئين في غطاء أسود حول وجههم، يمشون في خط مستقيم، ويقودهم شخص يلبس رداء أسود، لا أستطيع أن أرى وجهه بوضوح! جسده يشع احمراراً، ويمسك بيده سكيناً حادة!

بأمرٍ منه، وقف الثلاثة المجهولون، كان ينظر إليهم بهدوء، دون حركة أو كلمة! فجأة التفت إليّ، ورفع السكين في وجهي، ومن ثمّ وجّهها إليهم. إنه يطلب مني أن أرى ماسيحدث!

وقف أمام من يترأس الطابور، ووضع السكين حول رقبته ونحرها! سالت الدماء، وتعالت صرخات الشخصين اللذين بجانبه! ما الذي يفعله! إنه سفاح! قتلة بدم بارد!

التفت إليّ من جديد، ورفع السكين نحو الشخص الثاني، وذبحه بلا رحمة! وفعل الشيء نفسه مع الشخص الأخير!

أصبحت غرفة المعيشة بركة دم! وضع يده على الأرض، ومسح الدم بأطراف أصابعه العملاقة، وتذوّق طعم الدماء بلذة وباستمتاع!

لو حدث هذا المشهد في أول يوم لي في القصر لفعلت أكثر من هذا، كنت سأجنّ! ولكني أصبحت محطماً من داخلي؛ من هول الفظائع والعجائب التي شهدتها إلى يومي هذا! مايجري لا يهمّني! ولا أعرف إن كان حقيقياً أو تمثيلاً ووهماً! ولكني أريد أن أعرف غاية هذا الرجل الغريب!

بدأ يقترب مني، وبدأت دقات قلبي بالتسارع! أشعر بدوار غريب يضرب رأسي! هل سيقتلني؟ سيعذبني؟

وقف فوقي، ووجّه السكين نحو فمي، حاولت الفرار، ولكني كنت متجمداً! سقطت قطرات الدم داخل فمي، وتذوّقتها بطريقة مهينة!

وصلت السكين إلى رقبتي، وشعرت بأنني سوف ألتقط أنفاسي الأخيرة! فأغمضت عيوني، وسلمت أمري لهذا القصر الملعون!

فجأة... ساد الصمت! فتحت عيوني فلم أجدها! ولكني سمعت صوت ضحكاتها التي حفظتها أكثر من صوتي! كانت تقف أمامي بشرّها وجبروتها، وقالت ضاحكة:

- هل أصابك الجنون يا ماتيو؟

شعرت بأنّ جسدي تحرّر من شلله! فوقفت أمامها بكل قوتي! وقلت غاضباً:

- اللعنة عليك يا إيزابيلا! لن تحطّمينا بأفعالك القذرة!

رمقتني بنظرة تحدٍ، وقالت:

- أنا أمامك الآن! هل تجرؤ على ضربي؟ هيا يا ماتيو، أخرج غضبك الساكن بداخلك!

نعم! أريد ضربها وبقوة! مددت يدي، ولكنها عبرت في جسدها! وكأنها شبح! فقالت لي مبتسمة:

- هل تؤمن بنا الآن؟ وجوابك لن يغير شيئاً، فالرجل الكبير في الأعلى، مستمتع بتعذيبكم جميعاً!

عبارتها أصابتني بذهول!، فسألت باستغراب:

- أيّ رجل؟ ومن تقصدين؟

نظرت إلى الأعلى، وقالت بخبث:

- صدقني: لا تملك الوقت الكافي لكي أجيبك، لأنك خلال ثلاث ثوانٍ سوف تقع في مشكلة جديدة!

قالتها، وانتظرت العصبية التي تقصدها، كنت خائفاً جداً، والثانية مرت كساعةٍ كاملة!

سمعت صوت صرخة من الأعلى! إنها لصوفيا! فقالت لي:

- اذهب إلى حبيبتك يا ماثيو، فمن يعلم، لربما هذا يكون اللقاء الأخير بينكما!

ركضت بأقصى سرعتي على الدرج، سقطت دون أن أشعر، ولسعتني موجة ألم لم أبالِ بها، أكملت طريقي، ووصلت إلى الأعلى!

رأيت جايكوب يقف برفقة لوكاس الذي يعطس، صرخت عليهم بغضب كبير:

- ما الذي فعلتموهُ بها؟

أجابني جايكوب بكل خوف:

- لم نفعل شيئاً! سمعنا صراخها، وترددنا في أن ندخل عليها!

حاولت فتح الباب، فوجدته مغلقاً!

كسرنا الباب ودخلنا! رأيتها تصرخ بأعلى صوتها وهي تمسك بطنها! لقد كبر بطريقة مخيفة! أمسكت يدها، وحاولت أن أهوّن عليها، ولكنها من شدة الألم؛ لم تشعر بوجودنا!

عطس لوكاس كعادته، وقال:

- مايحدث لها، لا يصدقهُ أيّ عقلٍ بشريّ!

عيون جايكوب كانت ستخرج من مكانها، وهو يقول:

- إنها خبلى بلعنة، قلتها لكم!

لم أعد أعرف ماذا أصدق! ولكنها لو كانت حاملاً بالفعل! فإنها قد قفزت من شهرها الثاني إلى الشهر الثامن خلال يومين فقط!

سهرت لعدة ساعات وأنا أحرض على سلامة صوفيا، أضع على رأسها الكمادات الباردة، جسدها محروق وكأنها فوق صفيح ساخن، يتعرق بشدة ويرتجف! إنها تعاني من ارتفاع كبير في درجة حرارتها!

ينفطر قلبي عليها مئات المرات، وأنا أراها فاقدة للوعي ومرهقة بهذا الشكل!

ماذا بك يا ماتيو؟ لأول مرة تقع في الحب، بهذا الشكل وبهذه السرعة!

أريد الفرار من هذا المكان، وأنا ممسك بيدها! أريد أن أخرج بحل! لا أعلم لماذا فكرت بالذي حدث مع لوكاس عندما قفز من الأعلى! يا ترى لو فعلت مثله ماذا سيحدث لي؟ هل من الممكن أن يكشف لي شيء جديد؟ ماذا يوجد هناك؟ هل سأنجح في الرجوع؟ أم سأموت؟

بعد أن تقيأت صوفيا سائلاً غريب اللون، مرة تلو الأخرى، نامت أخيراً من شدة التعب. قررت أن أتركها وأذهب للأسفل بخطوات مرتجفة! وصلت إلى باب القصر، وكنت أقول بأن ما سأقوم به حماقة! ولكن مابيدي أية حيلة أخرى! لابد من أن أخوض كل شيء أستطيع تجربته!

فتحت الباب، على الرغم من بشاعة موقفنا، ولكن ما أراه يبدو آية في الجمال! لم أتخيل في يوم بأنني سوف أسبح في الفضاء البعيد!

رفعت رأسي فرأيت الظلام، وموجات ملونة تطير من فوقي، أنزلت رأسي، وكان الظلام أكثر رعباً شعرت بنسمات باردة تضرب وجهي، استغربت من وجودها، ولكني لن أفكر بها الآن!

هناك صوت يسري في أعماقي يطلب مني أن أقفز! رغم تردّدي، ولكنني جئت لهذه الغاية! رغم صعوبة الأمر، ولكني قررت أن أقفز! أغمضت عيني وفعلتها!

لم أتشجع لرؤية ما سيحدث لي وأنا أحلق في الفضاء! هواء قوي! وأحلام شبه ميتة! وأمل يلوح بين الحين والآخر!

فجأة! ساد الهدوء في المكان! فتحت عيوني، ورأيت نفسي في غرفة جدرانها مصنوعة من الخشب الفتهالك! سرير فقير، ودولاب صغير، يفتح أبوابه المتهالكة، ولا يحتوي إلا على قطع بسيطة من الملابس الرثة! توجد مرآة كبيرة تتوسط المكان، يقف أمامها طفل في العاشرة من عمره! ملامحه بريئة جداً، عيونه ناعسة! شعره ناعم، ويتدلى فوق عينيه! لقد كنت أنظر إلى نفسي عندما كنت طفلاً! إنني أعيش هذا الموقف القديم من جديد!

سمعت آهات قوية تخرج من غرفة والدي، لقد كانت لأمي! ركضت بأقصى سرعتي في اتجاهها، لقد كان الباب مشرعاً. دخلت بخطوات مرتجفة! فرأيت أمي مستلقية على فراشها وتصرخ ألماً! أبي يبعد عنها خطوتين، وهناك رجلٌ يلبس رداءً أسوداً وجهه مريخ للناظرين، يضع يده على رأس أمي، ويهمس بكلمات غير مسموعة!

أبعد يده عن رأسها بفزع! وقال لأبي:

- إنها ممسوسة بمسّ قوي، لا يُقهر!

شهقت خوفاً! فالتفت أبي، ونهرني بشدة:

- ماتيو! اخرج من هنا!

خرجت مسرعاً، ولكن فضولي كان يقتلني! فوقفت خلف الباب، وكنت أحاول أن أرى مايحدث!

رأيت وجه أمي يتحول إلى اللون الأزرق، وكأنه سينفجر! بكيت كثيراً على حالها الغريب! شعرت بالأرض تتحرك من تحتي! فلاحظت أن هذا الزلزال مصدره سرير أمي! إنه يهتز ويتحرك يميناً وشمالاً! اللوحات المعلقة

تتساقط واحدة تلو الأخرى! إلى أن أصبحت الغرفة عبارة عن مدينة مهدومة ومكسورة!

فجأة! حلّق الرجل ذو الرداء الأسود عالياً! وتحولت ملامح وجهه! كان يصرخ وهو ممسك بعينيه! وحدث ماجعلني أتبول لا إرادياً! سقطت عينة اليمنى على الأرض، وانفجرت اليسرى بطريقة دموية... ومات!

دخلت الغرفة مرة أخرى، ولم أبالِ بأبي وبغضبه مني. وضع يده على رقبة الرجل الملقى على الأرض، فلم يشعر بنبض!

صرخت أمي بطريقة مرعبة! وأمسكت بغطاء السرير بقوة! رغم طفولتي، إلا أني علمت بأنها سوف تلقى حتفها! خرج لعاب لؤلؤي اللون من فمها، وأغلقت عيونها بسلام!

خرج من جسدها شعاع أسود مرعب! التف حولي وحاصرني! أبي ينظر نحوي بقلق، وأنا أشعر كأنني وسط كابوس مفزع!

فجأة! تحول مسار الشعاع المظلم، ودخل في جسد أبي، بدأ يصرخ بألم، وعيونه تتحول إلى اللون الأحمر الدموي، لقد كان يصارع شيئاً غير موجود! سقط على الأرض، وزحف نحوي بصعوبة، وأمسكني بقوة من ملابسي، قال متألماً:

- إياك أن تؤمن بهم يا ماتيو! فالشرّ غير موجود في عالمنا! ونحن أذكى من جميع هذه الألاعيب!

نهض مرة أخرى، وأمسك بسكين موضوعة على الطاولة المقابلة، ولا أعلم ماسبب وجودها في الأساس!

وضعها حول عنقه، وهو مستمرّ في مقاومة السر الخفي الذي يسكن جسده، قال لي باكياً:

- ابقَ قوياً يا ماتيو! اليوم وإلى الأبد!

قالها، وقتل نفسه، وترك طفله الوحيد وسط بركة من الدم!

سقطت بقوة من أعلى سقف القصر، كما حدث مع لوكاس من قبل! نهضت بصعوبة من الألم! ولم يكن جسدي ما يشتكي منه، بل كانت حواسي جميعها، صرخت بأعلى صوتي، وبدأت أحطم جميع ما أراه، وقلت صارخاً:

- حرموني من والدي، ومن زوجتي وابنتي، ولكنهم لن يسلبوا مني حياتي! أنا لن أؤمن بكم!

سمعت صوتاً يهمس في أذني! لم أسمعه من قبل! لقد كان لرجل كبير، يقول بنبرة مستفزة جداً:

" سوف تؤمن رغماً عن أنفك، وعلومك، وكلماتك، ومعتقداتك يا صغيرا "

عزلة مخيفة مع النفس! وتفكير شارد لا يستطيع أن يكتشف الصواب من الخطأ! إلى متى سنعيش في هذا الجحيم يا مانيو؟ أصبحت لا أعرف ماهي خطوتي القادمة! وهذا الشيء لم يحدث قط في حياتي!

حواسي جميعها مشلولة بالكامل! إلا إحساسي بالجوع الذي لا يفارقني! لم أكن أهتم بالأكل، أستطيع أن أقول بأنني مهمل لصحتي كثيراً، فأيام العذاب الكثيرة،والتفكير الذي لا يفارقني، كانا يجبراني على نسيان صحتي وطعامي!

قررت أن أنزل إلى غرفة الطعام، وبالفعل ذهبت إليها، غرفة ممتلئة بالغذاء الطازج! كانت لغزاً آخر بالنسبة لي!، كيف لهذا الأكل ألا ينتهي؟ وكأنه في كل صباح جديد، يتم تزويد المكان بالطعام الجديدا

سمعت همسات غريبة في المكان! صوتاً مألوفاً! ذهبت إلى الجهة الأخرى، فوجدت الحارس جايكوب يضع سكيناً حادة على شرايين يده، من الواضح أنه جرح نفسه بقوة، قلت له وهو يبكي بحرقة:

- ماذا تفعل يا جايكوب؟ إياك أن تكمل!

فزع عندما وقعت عيونه في عيوني، فقال صارخاً:

- أريد أن أفارق هذه الدنيا، لا أستطيع أن أكمل في ظلّ هذه اللعنة يا سيد مانيو!

حاولت أن أستجمع أقوى الكلمات المناسبة لكي أنقذه من هذا الموقف، ولو أنني أعرف بأن الموت أرحم لنا جميعاً!

- فكّر قليلاً يا جايكوب، هل حياتك بلا قيمة؟ هل أحلامك تبخرت في هذا القصر الملعون؟ هل يستحقون حياتك يا جايكوب؟ لو سقطت يا صديقي؛ فسوف أساعدك على النهوض من جديدا لن تضعف ومعك مجموعة من الناس، يعانون مثلك وربما أكثر! مهما ضعفنا يا جايكوب، سوف نرجع أقوى من الماضي، هذه هي الحياة القاسية، صفعاتها تؤلم، ولكن عندما نردّ لها الصفعة بالمثل، فسوف نشعر بانتصار لا يوصف!

سقطت السكين من يده، فتأكدت بأنني أرجعته إلى رشده. وقع على الأرض باكياً:

- أنا لا أستحق مايجري هنا! إنني أعمل في وظيفتي بكل إتقان وإخلاص، لم يخرج مني أي خطأ! لماذا سأنتهي إلى هذا المصير المرير؟

تقدمت نحوه بهدوء، ووضعت يدي على كتفه، وقلت مواسياً:

- انهض يا جايكوب، صدقني لن أتركك تكسر بهذه البساطة، فأنا أحتاج لقوتك كما تحتاجني أنت، ضع يدك بيدي؛ وسوف نتخطى المصاعب جميعها... سوياً!

نظر إلي بعيون مكسورة:

- وهل تعدني، بأن تخرجني من هنا؟

لم أعهد نفسي كاذباً، ولكن لربما حان وقت الكذبة البيضاء، فقلت مبتسماً:

- أعدك يا جايكوب، بأنني سوف أبذل كل طاقتي، في سبيل إخراجنا جميعاً!

- ولكنّ المعطيات جميعها، تقول بأننا سوف نختفي كالطفلة روز في ظروف غامضة، أو في نهاية المطاف سنموت!

شعرت بغضب من حديثه وخوفه، فقلت بنبرة جادة:

- أنصت لي جيداً! لا أحد يستطيع أن يسلب حياتك من هذه الدنيا، أنا أعترف بأنني لست متديناً، ولكني

واثق بأنّ عمرنا مكتوب منذ ولادتنا! وهذا يعني بأنه لا يوجد قوى في الكون تستطيع أن تُسرّع في رحيلك!

سكتُ بضع ثوانٍ، وكأنه يستجمع قواه! وفي النهاية، رأيتُ بصيص أمل في عيونه، وقال بنوع من الشجاعة:

- معك حق! لن أسمح لأيّ كان أن يسلب حياتي وحريتي، سوف أحارب هذه اللعنة إلى الرمق الأخير!

ابتسمتُ له مشجعاً، ولكنّ لحظات السكينة لم تدُم طويلاً! سمعتُ صراخاً يهز المكان بأكمله، مصدرهُ من الطابق العلوي! نظرنا إلى بعضنا، وكأنّ أرجلنا لم تعد تستطيع أن تحملنا بسبب الصدمات المتكررة!

ركضنا بأقصى سرعتنا إلى الطابق العلوي، وعندما وصلتُ إلى مصدر الصوت، كان باب الغرفة مشرعاً، دخلنا بتوتر، فوجدنا صوفيا مستلقية على السرير، وحالها يرثى لها، ولوكاس يعطس كثيراً كعادته، وبيده طفلٌ ملطخ بالدماء، اقتربتُ منهم ودقات قلبي تتسارع بطريقة جنونية!

فأعطاني الطفل، وقال مرهقاً:

- أحتاجُ أن أذهب؛ لكي أنسى ماموثٌ به قبل قليل، فأنا متعبٌ جداً.

خرج، وأخذ معه جايكوب. نظرتُ إلى الطفل الذي بين يديّ، كان هادئاً بطريقة غريبة، ويحدق بي بطمأنينة! سعلتْ صوفيا قليلاً، ومن ثمّ قالت بفرح:

- لقد رزقنا بابنة جميلة يا ماثيو!

شعرتُ بأن كل مافي الغرفة يتحرك! جسدي بأكمله يرتجف! مايحدث هنا يخالف القوانين الطبيعية للحياة!

وضعتُ الطفلة في حضن صوفيا، وسقطتُ مغمىً عليّ، ولم أسمع سوى صدى صوتها:

- ماثيو... ماثيو ماذا بك؟

https://t.me/rimeriwayat

صحوتُ من النوم، وأنا في الغرفة نفسها التي تعودتُ أن أرتاح فيها. أشعر بتعب كبيرا وكأنني في آخر مراحلي الدنيوية! عيوني تُفتح بصعوبة! بسبب الإضاءة القوية في الغرفة!

عندما دققتُ النظر جيداً، وقف الدم في جسدي! ما الذي أراه؟! وكأنني في مكانٍ آخرا لولا تأكدي بأن زوايا الغرفة لم تتغير هيئتها، لقلتُ بأنني مجنونا ولكنّ الأشياء جميعها تغيرت! رأيتُ الزخارف الراقية منتشرة بين الجدان، والمرأة الكبيرة التي تتوسط الجدار لم تكن موجودة في السابق! وكانت هناك طاولة صغيرة ودائرية في إحدى زوايا الغرفة، إنها جديدة!

رفعتُ غطاء السرير عني، كنتُ ألبس ثوباً حريرياً فاخراً. نهضتُ، فرأيتُ على الأرض حذاء منزلياً أنيقاً، استغربتُ من وجوده!، وعندما انتعلتهُ زاد استغرابي؛ لأنه يناسبني وكأنه فلكي! تقدمتُ نحو المرايا وتملّيتُ مظهري، فارتجفت أوصالي من الصدمة! وجهي! إنه... مختلف! تجاعيده زادت وأصبحت واضحة! وأملك ذقناً أبيض وكثيفاً! ولكن كيف! فأنا جيناتي ضعيفة في هذا الموضوع! ذقني لا يظهر بسهولة! ولم أكن أملك أي شيب في جسدي! يا إلهي ما الذي يحدث! نظرتُ إلى الشباك؛ فوجدتُ الفضاء الذي نسبح فيه لم يتغيرا ولكن مهلاً! القصر لا يحتوي على نوافذ! فكيف تغير تصميمهُ؟

تقدمتُ من الباب وفتحته، واستمرّت الصدمة! الممرّ بين الغرف تغير بالكامل! إنه مجددا اللوحات الفنية منتشرة، والسجاد لم يعد متقلاً بالغبارا صرتُ أتلفّتُ حولي! هل أنا وسط عواصف أحلامي؟

فجأة، رأيتُ الطفلة روز المختفية! أتت إليّ راكضة! واحتضنتني بقوة! فأمسكتها وقلتُ لها غير مصدق:

- روز؟ أين كنتِ يا طفلة؟ كيف اختفيتِ بطريقة مفاجئة؟

نظرت إليّ باستغراب، وقالت:

- هل أنت مريض؟ ما الذي تقوله لي؟ أنا موجودة، ولم أختفِ!

لم تختفِ؟! ولكن كيف؟ اللعنة على هذه الألغاز التي لا تنتهي! قطعتْ أفكاري قائلة:

- هيا بنا إلى الطابق السفلي، فالعشاء أوشك على الانتهاء!

سبقتني، وركضتْ إلى الأسفل!

كنتُ أريد اللحاق بها، ولكني لم أستطع! لا أستطيعُ الحراك من غرابة ما أعيشه حالياً! حاولتُ أن أتمالك نفسي، وقررتُ أن أذهب إلى الطابق السفلي؛ لكي أعرف ما الذي يحدث!

عندما نزلتُ عن الدرج، لاحظتُ بأنّ التغيّر لم يقتصر على الطابق العلوي فقط، بل السفلي أيضاً! كل شيء راقٍ، عصريّ وجديدا القصر هو نفسهُ! ولكنّ مقتنياتهِ مختلفة!

هناك طاولة طعام كبيرة، في منتصف المكان، يجلس حولها كلٌ من صوفيا ولوكاس، لقد تقدموا في السنّ مثلي تماماً! الشيبُ يملأ رؤوسهم، والتجاعيد موجودة بوضوح، وتقدّم العمر لا شك فيه!

الطاولة تحتوي على الأصناف الشهية جميعها! من فواكه، وخضراوات، ولحوم، ودجاج! جلستُ وكأنني غريبٌ بينهم! قالت لي صوفيا مبتسمة:

- أخيراً صحوتَ من نومك يا حبيبي، لقد نمتَ لساعات كثيرة، أظنك أرهقتَ نفسك عندما سهرنا جميعاً بالأمس.

قلتُ لها بدهشة كبيرة:

- ما الذي يحدثُ هنا؟ كيف تغير القصر بهذه الطريقة؟

نظر إلي كلٌ من صوفيا ولوكاس بغرابة، وقال لوكاس وهو يعطس:

- ما الذي تقصده يا صديقي؟ لم يتغير شيء هنا!

- كيف لم يتغير شيء؟ كل شيء مختلف! ما الذي يحدث معكم؟

قالت صوفيا وهي مرعوبة من ردة فعلي:

- حبيبي: هل أنت بخير؟ المكان لم يتغير، نحن من غيرناه منذ سنوات! لقد تأقلمنا مع المعيشة هنا، فلا تنسى بأننا هنا منذ عشر سنوات!

عشر سنوات؟ ما الذي أسمعه؟ من المستحيل أن تمضي من حياتي كل هذه السنوات ولا أشعر بها! نظرت إليهما بغضب، وحولت نظراتي إلى المكان، وقلت:

- أين الحارس جايكوب؟

لم يتكلما، بل استمرا في تبادل النظرات بضع ثوان، ومن ثم قالت لي صوفيا:

- إنك تخيفني يا ماتيو! أنت تعلم بأن جايكوب قد مات! وأنت من وجده منتحراً، قبل عشر سنوات في غرفة الطعام في الأسفل!

آخر ما أتذكره، بأنني أنقذت جايكوب من الانتحار، في المكان نفسه الذي ذكرتهُ صوفيا! هناك شيء غريب يجري هنا! هل هذا تحدٍ جديد من تحديات المرأة المخيفة – إيزابيلا - ؟

فجأة... دخلت الطفلة روز المكان، وبدأت تلعب، وتصرخ بأعلى صوتها، كما يفعل الكثير من الأطفال في عمرها، فقالت لي صوفيا غاضبة:

- أرجوك يا ماتيو تمالك أعصابك! وقل لابنتك أن تجلس، وتأكل معنا!

نظرت إليها كالأبله! طفلتي؟ قلت مصدوماً:

- من تقصدين بطفلتي؟

عطس لوكاس مرة أخرى، وقال بخجل:

- هذا موقف محرج! ولكن لا عليك يا صديقي، فصوفيا أخبرتني عما جرى بينكما قبل عشر سنوات، والذي فعلتماهُ جلب لكما ابنة جميلة.

نهضت عن الكرسي، وأنا أصرخ بغضب:

- هل جننتم؟ الطفلة روز كانت موجودة منذ مجيئنا لهذا القصر، واختفت في ظروف غامضة! كيف لها أن تكون ابنتي؟! هل هذا المكان أفقدكم صوابكم؟ اللعنة عليكم جميعكم!

تركتهم، ونهضت من مكاني، وجعلتهم ينظرون إلي بوجوه شاحبة!

أصبحت أجلس وحيداً في الغرفة، لا أريد التحدث معهم! ولا أستطيع مجاراتهم في جنونهم وسلوكهم غير المنطقي! ثرى ما الذي يحدث حالياً؟ حلم طويل؟ أم تحدٍ جديد، دخلته دون سابق تحذير!

هل من المعقول أننا عالقون في الفضاء لسنوات عديدة؟ ولكن كيف تقدم بنا العمر، ولم أعش لحظاته؟ كيف لهم أن يعيشوه من دوني؟ هل تم إخضاعهم للسحر بتعويذة جديدة؟

دخلت للقاء الطفلة روز، فوضعت رأسها تحت يدي، إنها تحاول أن تصل إلى حضني، وراحت تقول:

- أبي... اشتقت إليك!

نظرت إليها بقسوة كبيرة، إنها الطفلة ذاتها التي رأيتها منذ وصولي، ولكنني متأكد بأنها مختلفة! يتحكمون بها كما يتحكمون بصوفيا وبلوكاس! قلت لها غاضباً:

- اخرجي من الغرفة حالاً! لا أريد رؤيتك!

ظهرت الصدمة الكبيرة والانكسار على ملامحها! فسقطت دمعة من عينها، هزت كياني عندما انحدرت على خدها.

غادرت الغرفة، وكنت أريد أن أناديها، وأن آخذها في حضني، ولكنها ليست ابنتي، ولن أقع في هذا الفخ من جديد!

أصابني الهلع! وبدأت أحطم الأشياء جميعها من حولي، وقلت صارخاً:

- هل سوف تتركوني بهذا الحال؟ أريد أن تخرجوا! تباً لكم، أدخلوني في تحدٍ جديد، لن أبالي من سأقتل أو أدمر!

سقطت على الأرض باكياً ومنهاراً، وأنا أتمتم:

- أنا أريد فقط، أن أخرج من هنا!

فجأة! شعرت بيد تمسك ذراعي، التفت، فلم أصدق عيوني! إنه الحارس جايكوب! ملامحه مرعبة! وكأنه قد خرج من حريق مدمر! قال لي بنبرة غاضبة:

- ألم أقل لك بأن القصر غير طبيعي؟ هل تتذكر عندما سخرت من أجدادي، ومن قصتهم عن اللعنة؟ هل تصدق الآن قصة اللعنة يا سيد ماثيو؟

نهضت من مكاني، ومددت يدي محاولاً لمس جسده، ولكنها دخلت عبر روحه! وكأنّ جسده أصبح فقاعة هواء!

- جايكوب؟ أرجوك قل لي، أنا ساعدتك في ليلة محاولتك الانتحار، أرجوك، قل لي بأنك تتذكر!

ابتسم لي، رغم بشاعة فمه الأسود:

- نعم أتذكر! ولكن تم قتلي بعدها من شخص لم أرهُ بعيني! الأرواح الشريرة سلبت حياتي يا سيد ماثيو! وأنا فعلت المستحيل لكي أعود إليك بهذه الصورة! احذر من البراهته! فلَفتتهم مخيفة! وكلُ من يقف في وجههم ويتحداهم، هالك لا محالة!

البراهته! عن أي شيء يتكلم يا ترى؟ كنت لا أريده أن يرحل، فسألته بسرعة:

- ولكن، لم صوفيا ولوكاس يؤكدان بأنني لم أساعدك في تلك الليلة؟ وكيف مرت بي كل هذه السنوات دون أن أشعر بها؟

- إنها تعويذة جديدة من البراهنه يا سيد ماثيو، وصوفيا ولوكاس ماهما إلا من الدمى! يتكلمون ويتصرفون تحت تأثير هذه التعويذة! حتى المسكينة روز! هذه الطفلة البريئة لا تعلم بأن جسدها مستحوذ عليه! تمالك نفسك يا سيد ماثيو! لربما تستطيع أن تخرج أنت ومن معك، ولكني أراكم هالكين! قالها، ولمس جبهتي، جعل الدنيا تتراقص من حولي

ظللت أفكر في كلامه، وأنا مستسلم للمخدر، الذي دخل جسدي من خلال إصبعه، وأسلتني جميعها دارت حول "البراهنه"

رجعت إلى رشدي، ولم أعلم كم غبت إثر تنويمي من قبل جايكوب! أول سؤال سألته لنفسي:" هل كنت أحلم البارحة؟"

توجهت إلى الشباك! فارتسمت على شفتي ابتسامة كانت قد غابت عني طويلاً!

لقد خرجنا من لعنة القضاء! كل شيء عاد طبيعياً! وكان مدخل القصر كما هو، عندما جئت إليه أول مرة! إنني أرى الحديقة الجميلة بوضوح، وهي تحتضن الزهور المتنوعة والملونة.

ركضت إلى باب الغرفة، وكأنني طفل ذاهب إلى مدينة الملاهي!

دخلت إلى غرفة المعيشة، فوجدت لوكاس يجلس وحيداً! يحدث نفسه باستمرار ويعطس كثيراً! وفي الجهة الأخرى، كانت الطفلة روز تحضن صوفيا، وتقول لها:

- أحبك يا أمي!

أمي؟ هل هذا يعني بأن ماحدث البارحة كان واقعاً وليس حلماً؟ لم أكن أريد التفكير في أي شيء حالياً! أريد حريتي! لو أرجعوها لي لن أوافق فقط أن تكون روز طفلتي، بل سأتبنى لوكاس، وسأتحمل عطاسه المتكرر! نعم... أعطوني حريتي!

فتحت الباب، وفُتح الأمل من جديد، عندما رأيت الدنيا طبيعية! ولكن فجأة أغلق بقوة! نظرت إلى صوفيا، وقلت لها:

- ماذا تفعلين يا عزيزتي؟ كل شيء قد انتهى! سوف نغادر هذا المكان الملعون!

أفزعتني بنظراتها المرعبة:

- نحن لن نغادر هذا المكان يا ماثيو!

زادت دهشتي عند سماع عبارتها، فقلت غاضباً:

- هل جننت؟ ألا تريدين مغادرة المكان، الذي جلب لك الحزن والأسى؟

جاء لوكاس من بعيد، وقال عاطساً:

- لا نريدك أن تجرّنا إلى مشاكل جديدة يا ماثيو! لا أحد سوف يغادر المكان!

لم أكن أصدق أذني؟ ما الذي أصابهم! نظرت إليهم بغضب:

- تباً لكم يا مجانين، سوف أخرج وأترككم!

وضعت يدي على الباب، فضربتني صوفيا عليها بقوة! لم أتمالك نفسي، مددت يدي وضربتها على رأسها بقوة، جعلتها تصرخ، فصرخت معها الطفلة روز باكية! كنت سأفتح الباب من جديد، ولكن جاءتني ضربة قوية على جسدي من الخلف، اختلّ توازني، وسمعت لوكاس يعطس، ويقول مكرراً:

- هذا البيت لنا! لن نجعلك تقتلنا بأفكارك يا ماثيو!

نهضت من مكاني بصعوبة! كنت أريد أن أضربه، وألقنه درساً قاسياً، ولكني رأيت إيزابيلا المرعبة، التي تقف خلف لعنات هذا المكان جميعها!

رمقتني بنظرة خبيثة، وهي تصعد الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي! فلحقت بها بأقصى سرعتي! لا أعلم كيف؟ ولكني خفت الغرفة التي ستكون فيها!

فتحت الباب ببطء، فرأيتها تقف وكأنها تنتظرني! قلت لها ببرود لم أعهده في نفسي:

- ماذا تريدين مني يا إيزابيلا ؟متى سوف تنتهي لعنتنا العقيمة؟

أجابتني بالبرود نفسه، وكأنها تستفزني:

- عندما يحين الوقت يا مانيو! ولكن عليك أن تستمع إلى نصيحة صوفيا ولوكاس، هذا البيت لكم! ولن تغادروه أبداً، هما اقتنعا بهذا، وأنت سوف ترضى في نهاية المطاف!

شعرت بأنها تريدني أن أتوسل! ولكني قررت أن أوجه لها سؤالاً يهز كيانها:

- حسناً... أنا موافق! ولكن أخبريني، من هم البراهته؟

كما توقعت! تحولت تعابير وجهها إلى جمود وصدمة! وقالت غير مصدقة:

- من أخبرك عن البراهته؟

لم أجبها! ولكني ابتسمت لها بمكر لكي تشعر بأني قادر على استفزازها كما تستفزني! نعم إنها الحرب! والأفكار والأفعال جميعها سوف تكون مشروعة!

أخرجت شيئاً من جيبها! شعرت بالخوف قليلاً! وحدث ماتوقعته! نثرت المسحوق السحري في الهواء! ووصل إلي بطريقة سريعة وغريبة، بدأ يُغمى علي! سقطت على الأرض، وأنا أرى وجهها المرعب فوقي، قالت لي بغضب:

- سوف تؤمن! ومن قال لك عن سرّ البراهته سيعاقب! ولن تترك هذا القصر أبداً!

لماذا أصبحت أنام كثيراً؟ هذا ما سألته لنفسي عندما استيقظت مرة أخرى في غرفتي!

ولكن ما الذي حدث؟ كل شيء عاد إلى وضعه الطبيعي! الغبار المنتشرا والسرير المتسخ! والفوضى التي رأيتها عندما دخلت هذه الغرفة للمرة الأولى في حياتي.

شعرت بأنني أحتاج إلى صوفيا! صرخت بأعلى صوتي:

- صوفيا! أين أنت يا صوفيا؟

استمرّ ندائي لدقائق،وفجأة! سمعت أحداً يطرق الباب، استغربت بادىء الأمر، فقلت متردداً:

- تفضّل!

فتح الباب، ودخلت صوفيا، إنها جميلة جداً! كما رأيتها عندما وصلت إلى القصر! تلك الفتاة المستفزة، والتي لم أتخيل أن أعشقها يوماً ما.

اختفت آثار التعب من جسدها، والشيب الذي غزا شعرها اختفى، لقد كانت طبيعية!

تقدمت إليّ بحذر وبتردد واضحين:

- ماذا بك، يا أستاذ ماثيو؟

نظرت إليها بذهول كبير:

- أستاذ ماثيو؟

استمرّ ترددها الغريب، وأردفت:

- نعم! ماذا تريدني أن أقول لك؟

لم أفهم لماذا تعاملني بهذا الجفاء! ولكني أمسكتها من يدها، وأجلستها بجانبي، كان جسدها بأكمله يرتجف من وجودها بقربي!

أخبرتها عن كل شيء رأيته! تحوّل القصر من حالٍ إلى حال! وتقدّمنا في السن! وموت الحارس جايكوب! أخبرتها عن حيرتي: إذ كيف لهذا القصر أن يستمرّ في تعذيبنا بهذه الطريقة؟، وأخبرتها أنهُ يجب علينا الخروج بسرعة، دون أن تعارضني!

كنت أتكلم، وهي تنظر إليّ غير مصدقة! ففهم الفاغر يكشف حيرتها غير المبررة، قالت بصوت مبحوح:

- ماذا تقول؟ أستاذ ماثيو: إني أخاف عليك من الجنون!

شعرت بأنني أتحدث مع شخص آخر! وليس صوفيا التي أحبتها، وعرفت تفاصيلها الكاملة! فقلت مستغرباً:

- أين ابنتنا؟

نهضت من مكانها مصدومة:

- ابنتنا؟ ماذا تقول يا مجنون؟

نهضت أنا الآخر، وقلت بنبرة خائفة، نعم كنت خائفاً من ردود أفعالها:

- ابنتنا روز التي أتت ثمرةً لحبنا!

قالت بصوح عالٍ وغاضب:

- لا أسمح لك يا أستاذ ماتيو! لا تتعد حدودك معنا! الطفلة روز موجودة في الأسفل، كيف لها أن تكون ابننا؟

سكتُ لدقائق،والعرق بدأ ينفضُ من جسدي، وكأنه يعبّر عن ضياعي وتوتري، هل أنا في اختبار جديد؟

- صوفيا... كم مضى على وجودنا في هذا القصر؟

عيونها التائهة كانت تقتلني! قالت بريبة:

- لقد وصلنا بالأمس! والساعة الآن تشير إلى الثالثة فجراً، كنتُ سأنام ولكني سمعتك تنادي لي بصوت عالٍ، واستغربتُ كثيراً، لماذا تريدني أنا؟، رغم كرهنا لبعضنا منذ أول لحظة تحدثنا فيها!

فجأةً، دخل لوكاس إلى الغرفة، وقال مستغرباً:

- ماذا حلّ بكما؟ أصواتكما العالية تمنعني من النوم!

أمسكتُ بيد لوكاس، وكأني أمسك بآخر أمل في حياتي!

أخبرتهُ عن كل ما جرى معي! تماماً كما أخبرتُ صوفيا! رأيتهُ يتوتر ويرتعب مع كل جملة أقولها، فقال معلقاً:

- أظنُ بأنك متعبٌ قليلاً يا أستاذ ماتيو! فما تقولهُ لم يحدث قط!

يا إلهي! الأمل ضاع مع لوكاس! كنتُ سأعتمد على كلامه، لإثبات حقيقة ما جرى في القصر، ولكني لاحظتُ شيئاً جعلني أخاف منه، فقلتُ مشككاً:

- لماذا لم تعطس؟

نظر إليّ باستغراب، وقال:

- ولماذا تريدني أن أعطس؟ فأنا لا أشعر بتوعّك!

أمسكتهُ من يده بقوة، وقلتُ غاضباً:

- ولكنك تعطس كثيراً عندما تتوتر، وأنت متوتر الآن!، لماذا لا تعطس يا مخادع؟ إنك خلف جميع الألاعيب التي تجري هنا! اعترف يا لوكاس!

دفعني بقوة، واختلّ توازني، وقال باستهزاء وهو يغادرُ الغرفة:

- لماذا جئتَ إلى قصر المجانين؟

التفتُ إلى صوفيا، فوجدتُها ملقاة على الأرض! تنظر إليّ مرعوبة، جلستُ إلى جانبها بهدوء، وقلتُ بحنان بالغ:

- حبيبتي صوفيا، تذكّري، أرجوكِ!

فتحتْ فمها، وقالت غير مصدقة:

- أنا... أنا...

ولكنها لم تكمل العبارة؛ لأننا سمعنا صرخة هزت أركان القصر! إنني أعرف هذا الصوت جيداً!

ركضتُ نحو الباب، والتفتُ إلى صوفيا التي بدأت تنهار! ولكني لم أرجع إليها!

وصلتُ إلى الدرج المؤدي إلى غرفة المعيشة، فوجدتُ لوكاس يمسك بسكين طويلة وحادة ويطعن الحارس جايكوب! طعنةً تلو الأخرى، إلى أن أفقدهُ حياته!

صحتُ به غير مصدق:

- ماذا تفعل يا مجنون؟ لماذا قتلته يا لوكاس!

نهض عن الأرض، ومشى باتجاهي مع سكينه الغارقة بالدماء، عيونه تُرعب! صرخت في وجهه، وكنت أشعر بخوف كبير:

- إياك أن تفعلها يا لوكاس!

ركض نحوي، ولا أعلم كيف سلّمت روحي له، وأغمضت عيني بهدوء، إذا كانت هذه هي نهايتي في هذا القصر، فأنا موافق!

سمعت صرخة أتت من خلفي! فتحت عيوني، فوجدت لوكاس قد طعن صوفيا، التي كانت تقف خلفي، وتحمل هي الأخرى سكيناً في يدها.

رمى سلاحه إلى الأرض، وأعطاني ظهره، ومشى إلى منتصف الغرفة ببطء وبتعب. أما أنا، فبكيت كالطفل، وذهبت خلفه، وأمسكته بقوة من كتفه:

- لماذا قتلتها يا مجرم؟ لماذا تسلب مني أجمل شيء في حياتي؟

صاح بصوته الغاضب والمنهك:

- كانت ستقتلك يا غبي! لقد أنقذتُ حياتك، عليك أن تشكرني!

أمسكته من عنقه بقوة:

- سأقتلك يا حقير! أنت وراء الألغاز جميعها التي تجري هنا، سوف أذبحك!

لم أتوقف إلا عندما رأيته يموت أمام عيوني! سقط على الأرض، وسقطتُ أنا الآخر!

رحت أتلفّت حولي، وأنظر إلى الجثث الموجودة في المكان! فذهبت عيوني نحو الباب، إنه نهاية لهذا الهلاك!

زحفت نحوه بصعوبة! وعندما وصلت، كنت أتوسّل لرجلي أن تساعدني على النهوض، وأخيراً فتحت الباب، فاستقبلتني أضواء كشافات كبيرة، لم أستطع النظر جيداً واستكشاف مايجري!، وسرعان ما توضّحت الرؤية، سمعت العبارة التي أفرحتني كثيراً:

- المكان محاصر بالشرطة!

هل تعلمون ما معنى أن تأتي لحظة الاطمئنان والسلام التي تنتظرونها، وفجأة تكتشفون بأنها عاصفة جديدة، تهدد بإغراق سفينة حياتكم من جديد؟!

تم نقلي إلى المستشفى، جسدي يعاني من جفاف كبيرا وتغذيتي سيئة للغاية، وعاد علي ذلك بالويلات! كانت صحتي ستتدفر لو لم يلحقوا بي في الرمق الأخيرا ولكنهم أنقذوني من بحر الموت، لكي يغرقوني في بحر أشد عمقاً وخطورة من سابقه!

أنام الآن على سرير المستشفى، ويدي مكبلة بالقيود الحديدية، كأنني مجرمٌ فز من جرائمه الدموية! ولكني بريء! من يستطيع أن ينقذني؟ وكيف لهم أن يقيدوني، ويوجهوا لي تهماً غريبة وعجيبة!

استجوبوني في المستشفى لساعات طويلة، صرخت... بكيت! أقسمت بأقدس الأشياء أنني بريء! ولكنني مذنب في نظرهم!

إنني أواجه حكم الإعدام بسبب قتلي لصوفيا ولوكاس وجايكوب! صحيح بأنني سلبت روح لوكاس بغرض الدفاع عن النفس، ولكنّ كلامهم لم يتطابق مع ما عشته في القصر إطلاقاً!

حسب اتهاماتهم، فإنّ السكين التي وجدوها في القصر، تحملُ بصماتي أنا! لم يجدوا بصماتٍ أخرى! ولكني لم ألمسها! حتى سكّين صوفيا، لم تقع بين يدي! والصدمة الكبرى هي أنهم يظنون بأنهم توصلوا إلى الجريمة الكبرى وكشفوها! فهم يزعمون بأنّ صوفيا وجايكوب ولوكاس مفقودون منذ سنوات، وضحايا لجرائم اختطاف، لم تتمّ تسويتها!

كانوا يوجهون لي السؤال تلو الآخر، وأنا لا أستطيع الدفاع عن نفسي! يتهمونني بالجنون بعد سماعهم للقصص التي ذكرتُها لهم، والحقيقة أنهم هم المجانين، ولستُ أنا!

كل جملة أقولها، يأتيني الردّ عليها بالتهر والتهديد من قبل المحقق! وعندما طلبت محامياً للدفاع عني، ضحكت لأنهُ ما من أحدٍ يريد الدفاع عني أمام القضاء! بسبب ماذكروهُ عني! لقد أصبحتُ القاتل والخاطف الأول في البلدة! شهرتي انهارت! ماتيو روبرت العالم العاقل، أصبح نكرة!

عندما أضربتُ عن الطعام احتجاجاً، وضعوا لي المزيد من المغذيات في دمي، لم أكن مضرباً بسبب مايجري معي حالياً، بل بسبب هذه الدنيا غير المنصفة!

حتى اليوم، لم أعرف ماحدث لي! من أرسلَ لي الدعوة في البداية! وكيف قبلتها؟ وما رأيته في القصر من غرائب وعجائب، كيف لي أن أفسرها؟ كنتُ أقول بأنها خدعٌ لا أكثر! ولكنني الآن انتهيتُ إلى الحيرة والفشل! هل ما عشتهُ طوال السنين الماضية كان كذبةً؟ هل قناعاتي التي ورثتها عن أبي، وحصّلتها من دراساتي وأبحاثي، هي التي ألقت بي إلى الهاوية؟

شيء ما في داخلي، مازالَ يؤمن بما أعتقدهُ جميعهُ! وشيء آخر يقول لي، بأنّ رأيي غير مهم الآن! لأنّ هناك قوىً سحرية، تحاربني بأقوى مالديها! نعم أنا مستسلم!

عندما أصل الإنسان إلى مرحلة معينة من العمر والكفاح، يبدأ يوبّخ نفسه على أشياء لم يفعلها، بل يعتقد بأنهُ كان مخطئاً في الماضي، إذ لم يعش حياتهُ كما يريدا

لماذا لم أقع في الحب بعد وفاة زوجتي وابنتي؟ ما السبب الذي جعلني أرى سنوات عمري، تمضي دون عائلة؟

ولماذا عندما أحببتُ من جديدا عشقتُ فتاةً ـ حتى اليوم ـ لا أعرف هويتها!

لو كان كلام الشرطة صحيحاً بأنّ صوفيا ورفاقها مفقودون، فكيف لهم أن يشاركوني الحياة بتفاصيلها في

ذلك القصر الملعون! ولكن مهلاً! أين الطفلة روز؟ لماذا اختفت؟ هم لم يذكروها أثناء التحقيق معي!

لربما الطفلة روز، هي من سينقذني من الجنون! مستحيل أن أكون مريضاً نفسياً! لا أستطيع أن أقول بأن هذا انفصام في الشخصية! أنا سليم! وأكبر دليل على ذلك، وجود روز واختفاؤها! ولكن لو كنت مريضاً، ما الذي يمنعني من اختلاق شخصية الطفلة روز؟ يا إلهي سوف أجن!

بعد عدة أيام في المستشفى، نقلوني إلى غرفة الحبس الانفرادي. عشت تجارب سيئة جداً! معاملة لا تليق بالإنسان، وكلام بذيء يستبيح وينتهك شرفي وكرامتي! والأسوء من ذلك، بأنني لا أستطيع الرد، ولا فعل أي شيء!

غرفة السجن مظلمة جداً! ولا أعرف شيئاً عن التوقيت الخارجي! لقد عزلوني عن الدنيا بأكملها، لم أعد أعرف كم مكثت في هذا المكان! ولكن وجودي استمر أياماً!

كانوا يدخلون لي الطعام العفن كأنني كلب! مع كوب ماء غير ممتلىء! أريد شخصاً يقتلني حالاً! كيف لي أن أحظى بنهاية غير منصفة كهذه؟ لم يتغير شيء في حياتي! انتقلت من جحيم القصر، إلى جحيم السجن!

بعد مرور أيام،لاحظت أن الطعام والشراب الذي يقدمونه لي، أصبح نادراً ما يقدم! وكأنهم يتعمدون نسياني!

رغم وجود سرير صغير في السجن، إلا أنني كنت أجلس على الأرض طوال الوقت! لقد دخلت في حالة يأس كبيرة! إنني أنتظر ذاك الملاك السماوي كي يأتي ويأخذ روحي، ويريحني من هذا الهلاك!

توجد إضاءة خفيفة في المكان، تُطفأ في ساعة معينة في اليوم، كي يجبروني على النوم! كنت أنظر إلى مصدر الإنارة، وأتمنى أن أحظفة! لم لا أعيش في الظلام؟ وحياتي ليس فيها بارقة أمل؟!

ضعقت عندما انطفأ النور فجأة، في الوقت الذي كنت أفكر فيه بالأمر! ظننت بأنه حان وقت النوم!

شعرت بحركة غريبة في المكان! ازداد خوفي كثيراً! لأنني لا أستطيع مواجهة المجهول الذي داهمني! فالظلام تثير الرعب في روحي المحطمة!

فجأة! عاد الضوء من جديد! من هول ما رأيته، وقفت على أقدامي المرتجفة دون أن أشعر!

إنني أرى رجلاً ضخم البنية، جسده يكسوه اللون الأزرق! عيونه حمراء كالنار! ملامحه ضبابية وباهتة! من المستحيل أن يكون بشراً!

يقف خلفه أربعة أشخاص! وضعيتهم تشير إلى أنهم يحفونه! ولكن ممن؟ مني أنا؟ الرجل الضعيف والمحطم؟

اثنان من خلفه كانوا رجالاً، الأول: أبيض البشرة، لديه عين واحدة! طويل القامة! شعره يتميز بكثافته، وبلونه الأحمر!

والثاني: أسمر، وكأنه يجلس تحت الشمس لساعات طويلة! لا يملك عيوناً! فمه واسع بطريقة مخيفة! وخصلات شعره الطويل، متلونة باللون الأزرق!

إلى جوارهما، تقف فتاة وطفلة صغيرة! الفتاة بشعة بشكل لا يوصف! لم أستطع أن أراها كثيراً، أسنانها صفراء مقززة! وشعرها خفيف جداً! أستطيع أن أرى جلدة رأسها؛ بسبب قلة شعرها!

والفتاة الصغيرة كانت محيرة بالنسبة لي! تنظر إلي بحقد كبير! وكأنها تكرهني لسبب ما!

- مانيو روبرت؟

قطع حبل أفكاري بصوته الخشن، نبرته تدل على أنه كبير في السن!

- من أنت؟ وجهت سؤالي له، لذي البشرة الزرقاء.

شعرت بأنني أهنته بسؤالي! ابتسم بمكر كبير، وقال:

- الجهلاء أمثالك، لا يعرفوني يا فتى! أنا الملك برهوت! حاكم شعب البراهته!

حولت عيوني إلى من يقفون خلفه، فقال لي ضاحكاً:

- ألم تتعرف عليهم؟

هززت رأسي نافياً، كان الخوف يتملكني، فقال:

- من يقفون خلفي، هم أصحابك! صوفيا ولوكاس وجايكوب، والطفلة روزا

شعرت بزلزال يقتلع أمعائي! أريد أن أتقيأ! لم أعرف ماذا أقول له! ولكن كيف!

بدأ يتجول في المكان الصغير، وهو يقول:

- منذ تكوين هذه الأرض، وقبل خلق الجن والبشر، كنا نحكم هذا الكون، نحن البراهته الكرام! وضعنا القوانين، وتصدينا لكل المشككين بنا أمثالك! من يقف ضدنا نحطمه! ولكن لا تظن بأننا الأشخاص السيئون! نحن من نبث الإيمان في قلوب الناس، وإن لم يؤمنوا بنا؛ نقتلهم بسهولة، كما فعلنا مع والديك.

شعرت بغضب كبير، عندما اعترف لي بقتل والدي، فقلت:

- إذن، أنت تعترف بأنكم قتلة والدي؟ وماذا عن زوجتي وابنتي؟

نظر إلي بهدوء وبتحدٍ، وقال واثقاً:

- زوجتك وابنتك دقت ساعتهما! فالأرواح يا مانيو تُخلق وترحل في ميعادها المحدد! وهذا هو المكتوب لهم، نحن لم نمسهما بسوء! أما بالنسبة إلى والديك: فنعم! أنا من أمرت بقتلهما! لأنهما لا يؤمنان بنا! ونقلا لك هذا المرض الخبيث، من يعش في هذه الدنيا ولا يؤمن، لا يستحق أن ينعم -ولو لدقيقة- بحياته!

كنت أنظر لمن قال عنهم، بأنهم كانوا معي في القصر! إنهم لا يرمشون! وينظرون إلي باستمرار! ويسببون لي توتراً كبيراً!

- لماذا أنا؟ وكيف وصلتني الدعوة لزيارة القصر؟

بدأ يضحك من جديد، ويسعل:

- لماذا أنت؟ وكيف تظن بأنك المختار؟ وكأنك أول من يمتلك في البراهته؟ هل تذكر عندما فتحنا لك الغرفة في الطابق السفلي؟ ووقتها رأيت الجثث المحلطة، وجعلناك تحضر محاكمة لأحد أفراد البشر؟ ووقتها كانت معك صوفيا، التي ظننت بأنك تحبها وبأنها تعشقك!

نظرت إلى صوفيا، تلك الفتاة الجميلة التي شعرت بأنني سأكمل حياتي معها! ولكنها لم تكن بالفاتنة نفسها! صورتها الحقيقية مرعبة! وكانت تنظر إلي بشفقة وغل!

- وكيف لك أن تطلب مني الإيمان بكم، وأنا لم أسمع باليراهته من قبل؟

قال لي ببرود قاتل:

- وهل تلومني عندما أقول بأنك جاهل؟ وخسارة فيك هذا العقل المربوط برأسك! اليراهته يا فتى لا يكتفون للناس! ولا أحد يستطيع أن يعرف عنهم شيئاً! مشكلتك ليست عدم إيمانك بنا! بل لقد طعنت بالجن، وبالأسرار الكبرى في الكون، وبالخفايا العظيمة، وبالقيم في هذه الدنيا، أنت متجرد من إيمانك، وبما أننا نتكلم عن هذا الموضوع؛ فدعني أعرفك على من تلاعبوا بك كأحجار الشطرنج، وهم معك في القصر.

جايكوب: هو ملك مخلوقات الجن، المسؤول عن العاصي والمؤمن! والفتاة -إيزابيلا- التي كانت تظهر لك، وتضعك في تحديات مختلفة، لم تكن سوى خادمة من عنصر الجن.

أما لوكاس الذي يعطس كثيراً، لم تستطع أن تشك به إطلاقاً؛ لأن خطتنا كانت محكمة، ولا تفشل! وجعلناك تظن بأنه بشري، حالة حكالك. وجاء إلى القصر صدفة! إنه هو المسؤول عن إدارة الوقت والزمن الطبيعي، هو المسؤول عن الأمطار والعواصف وتقلبات فصول الشتاء! وحتى أماكن الكواكب والنجوم! وهو من كان يخضعك إلى أجواء الشتاء القارس والحر المميت. وأخيراً، هو من أوصلك بالقصر، إلى بقعة بعيدة في الفضاء!

أما الطفلة روز، فهي مسؤولة عن الأسرار الكونية، والاكتشافات التي من المخطط أن تظهر للعلماء في وقت معين، إنهم لا يكتشفونهم بجهودهم الشخصية، بل نحن من نسير الدنيا كما نريد، وكما هو مكتوب في كتب البراهنه. ولا تستغرب من صغر جسدها وعمرها، فهي تستطيع أن تقتلك بلمح البصر! وعمرها الحقيقي لن يستطيع أحد أن يصدقه!

و أخيراً صوفيا: إنها يدي اليمنى! والآمر الناهي في عالم البراهنه من بعدي، إنها كالابنة بالنسبة لي، وهي من سوف تستلم مكاني يوماً ما! جعلناك تسقط في حبها؛ لكي تضعف أكثر فأكثر!

ماقاله لي، لم يصدقه عقلي! ولكني في موقف لا يسمح لي بالتمسك بعلومي وبأبحاثي! كل شيء انتهى! أعترف اليوم بأنني كنت مخطئاً طوال هذه السنوات، ولكن ما الفائدة الآن؟ أنا هالك لا محالة! سوف يقتلونني، أعلم ذلك!

ركعت أمامه خاضعاً وباكياً، وقلت بكل ندم:

- ماذا تريد مني؟ أرجوك اصفح عن روحي!

رفعت نظري؛ فرأيت عينيه الفزعتين! تنظران إلي بغضب كبير:

- ألم يعلّموك في سنوات دراستك، أن كل شخص مسؤول عن تصرفاته؟ وعليه أن يتقبل عقابه؟

- وأنا سوف أفعل أي شيء تريده، أرجوك!

- انهض يا ماتيو روبرت! قالها بقسوة كبيرة!

نهضت، وحاولت أن أتشجع قليلاً، ولكنني كنت مكسوراً، فقال لي:

- إنني أخيرك يا بني! أن تقضي طوال عمرك في هذا السجن، ولا تظن بأنك بالفعل محكوم عليك من البشر! لا! هذا السجن، وما جرى لك كلّه، خاضعان لقوانين عالم البراهنه، ومرتبطان بها! أنت في مكان ليس موجوداً على الكرة الأرضية! وماحدث في المستشفى وأثناء التحقيق، ماهو إلا تسلية منا، بشبة ما فعلناه بك في القصر! عليك أن تقرر الآن وسريعاً: إما أن تبقى هنا طوال عمرك، تُعذّب من قبل البراهنه، وصدّقني بأن عذابي لك هنا، سوف يكون أقسى كثيراً من عذاب القصر، سوف أحبسك هنا، إلى أن يكتب لك خروج روحك من جسدك.

أو تخرج أمام البشر، وتعترف للجميع و علناً - بخطأ معتقداتك، وتعتذر عن حماقتك وجهلك، وتتحمل ردود أفعال من اتبعوك في هذا الطريق المظلم، وتقودهم إلى الإيمان بمعتقداتنا وبنا، حاذين حذوك!

لمعت عيوني بشدة! نعم، رأيت الأمل يلوح من جديد، سوف أتحرر من جديد، فقلت بحماس:

- نعم، نعم أقبل! سوف أختار الخيار الثاني!

جحظت عيونه الحمراء، وقال بخبث:

- وهل كنت تظن بأنني سوف أعطيك مخرجاً سهلاً يا ماتيو؟ الخيار الثاني، لم تنته شروطة بعد!، فبعد أن

تخرج للناس مقزاً بالخطأ، سوف تقوم بأمر آخرا

بلعث ريقي بصعوبة، وقلت:

- ماهو؟

اقترب من أذني، وهمس لي بما يريد، فشعرت بأن دقات قلبي تتسارع! لينها تتوقف، وتريحني من هذا الجحيم!

وعندما انتهى، قال لي باحتقار:

- إذن؟ ماذا تختار؟

أطرقت برأسي حائراً، فأنا من أذليت نفسي وأخطأت! والعواقب سقطت على رأسي بقوة! قلت مستسلماً:

- أريد الخيار الثاني، لن أتحمل العيش هنا طوال عمري!

ابتسم، وكأنه كان واثقاً من قراري.

عاد إلي من جديد، فحاطاً بأفراد جماعته، وقال بصوت عالٍ:

- اللعنات سوف تتساقط، على كل من يقف في وجه البراهته!

Page 80 / 84 - 25 -

في أحد الشوارع الحيوية، التي تكتظ بالمحلات التجارية، وبالمقاهي والمطاعم. والتي تعدّ منطقة مثالية لجذب السياح، ولإغرائهم بسحب مدّخراتهم، وإنفاقها والاستمتاع بها.انتشرت شاشاتُ تلفاز عملاقة في كل مكان. وورد خلالها خبرٌ عاجل؛ وسرعان ما هدأت الحركة في المكان، وساد الصمت!

ظهر ماتيو روبرت في نشرة الأخبار، بهيئة غريبة، وبعينين يسكنُ تحتهما سواد الليل المظلم. تكلم بنبرة مستسلمة، قائلاً:

- أنا ماتيو روبرت! الجميع يعرفونني بأبحاثي العلمية وبدراساتي، التي قدّمتها للملايين من الناس عبر سنواتٍ طويلة!

أخرج اليوم أمام الجميع لكي أعتذرا فالخطأ غير محرّم، والاعتراف به يرتبط بالصفات الحميدة.

أعلنُ أمامكم اليوم، وأنا بقواي العقلية الكاملة، ودون تدخّل من أية أحزاب سياسية، أو دينية فيما سأقول :أنني كنتُ مخطئاً، في معتقداتي جميعها!

وما أكّدتهُ طوال السنوات الماضية، كان وهماً! لم أقصد به خداع أحد! ولكنني عرفتُ اليوم طريق الصواب!

نعم، لقد كنتُ مخطئاً عندما قلتُ: إنهُ لا يوجدُ غيرُنا نحنُ البشر في هذا الكون، ولا يوجدُ عندنا أسرارٌ ولا عوالم خفيّة، أو مخلوقات كالجنّ أو سحر وعجائب غريبة!

أنا أعلمُ بأنّ هناك كثيرينَ سيفرحون بسقوطي أخيراً، وهناك من سيلعنني لسنوات عديدة!

إلى كلّ من آمن بي أقول: أنا آسف! لا تُكملوا مشواري الكاذب! ولا تقعوا في دوامةِ الأخطاء ذاتها التي وقعتُ فيها ! شكراً لكم، وأعتذرُ من جديدا

انتهى التصريحُ الناري، واستعمرَ الهدوء في المكان، بل كسا الذهول والوجوم وجوه الناس!

https://t.me/pdfstory

مكثت في منزلي ثلاثة أيام! أنتظر قدري المحتوم! استغربت لأنهم لم يأخذوني لإكمال بنود اتفاقنا ذاك! كنت أشعر بسعادة لا توصف، وأنا أجلس في المنزل! لقد حرمت منه لفترة طويلة! ليتني أستطيع أن أكمل باقي حياتي فيه، فلا أغادره. ولكن لا مفر من تنفيذ بنود اتفاقي مع الملك برهوت!

خلال هذه الأيام، كنت أستيقظ منذ الفجر، وأنتظر وصول الجريدة اليومية! العالم بأكمله يتكلم عني! منهم من ينعتني بالمعتوه والأبله! منهم من يسخر كثيراً! وقليل جداً من الناس، قدموا لي الأعذار، والدعم المعنوي!

- هل أنت مستعد؟

رفعت رأسي! فوجدتها تقف أمامي! صوفيا الجميلة! تسارعت نبضات قلبي عند رؤيتها! نهضت من مكاني غير مصدق!

- صوفيا؟ لماذا تظهرين لي بمظهرك القديم؟

ابتسمت لي بخبث، وقالت:

- لكي أتاكد بأنني سوف أحطمك، قبل أن تنفذ الاتفاق الثاني، الذي أبرمته مع الملك برهوت!

لو سمعت هذه الجملة منها سابقاً، لغضبت...ولكني ابتسمت لها بسلام! فأنا محطم الآن! والشيء المحطم سابقاً، لا يستطيع أحد أن يحطمه أكثر!

- أنا مستعد!

شعرت بانبهارها من ردة فعلي. قالت غير مبالية:

- حسناً... دعنا ننتهِ منك!

قرقعت بإصبعيها؛ فتنقلت إلى مكان أعرفه! إنه الطابق السفلي في القصر! بالتحديد، الغرفة التي توضع فيها الأجساد المحنطة!

رأيت نفسي وسط محاكمة! يجلس أمامي الملك برهوت على كرسيه، خلف طاولته التي تلتفُّ حولها النيران! وأنا أيضاً كانت النيران تحيط بي! من خلال القيود الحديدية الموضوعة في يديّ ورجليّ! لم يكن أحدٌ في المكان سوانا!

نظر إليّ لفترة طويلة، دون أن يتكلم! وكنت أبادله النظرات نفسها! وكأنني أقول له: إنني لا أهتمُّ لك! بل بالذي سنفعله، وسيحززني من لعنتي! أخيراً، تكلم وقال:

- ماثيو روبرت، هل تعلم سبب وجودك هنا؟

- نعم! لأنني مذنب! وفاقدٌ للإيمان!

- إذن، أنت تعترف بذنوبك؟

- نعم يا سيدي!

نظر إليّ باحتقار، وقال:

- وهل تعلم ماهو الاتفاق الثاني، المطلوب منك تنفيذهُ؟

أطرقت برأسي حزناً! هناك كثيرون من الناس يزعمون بأنهم لا يهابون الموت! ولكن عندما تحين ساعتهم، فسرعان مايشعروا بأنَّ الموت أمرٌ مروِّعٌ ومخيف!

- نعم يا سيدي! لقد نفذتُ الجزء الأول من اتفاقنا! وهو أن أظهر أمام الناس جميعاً، وأكذّب نفسي! والاتفاق الثاني: أنا موجود الآن لتنفيذه، وهو المحاكمة العادلة من سيادتكم، وتحنيط جثتي مع المحنطين جميعاً هنا، الذين لم يؤمنوا قط بالبراهنه!

ظهرت ابتسامة النصر على وجه الملك، وقال:

- ماتيو روبرت، أحكم عليك بالموت، وأنت حيا سوف يتمّ تحنيط جسدك إلى آخر يوم في هذه الدنيا، ولن يستطيع أحدٌ أن يحررك سوى شخص من البراهنه! سوف تنضمّ إلى فئة غير المؤمنين في هذه الدنيا، لتكونوا عبرةً قاسية لجميع المخلوقات في الخارج!

بدأتُ أبكي، وأقول بحرقة كبيرة:

- أنا موافق يا سيدي، أرجوك أنهِ هذا العذاب!

فجأةً، تم تحريري من القيود الحديدية! ووقف الملك برهوت، وقال بصوتٍ عالٍ، وبنبرة قاسية:

- ماتيو روبرت... هل تؤمن بنا؟

استمريت في البكاء، شعرتُ أنني طفلٌ مكسورُ الخاطر والجناح، عائلته تخلّت عنه؛ لأنّ أفرادها لا يستطيعون أن ينفقوا عليه. تذكرتُ زوجتي وابنتي، ووالديّ اللذين ماتا للسبب نفسه.فقلت مذلولاً مقهوراً:

- نعم أؤمن بكم!

خرج شعاع أحمر من يده! فانشلّ جسدي بأكمله! شعرتُ بشيء يتغلّى من رجلي، أطرقتُ برأسي، ورأيتُ جسدي وقد بدأ يتحنط من الأسفل، صرختُ بأعلى صوتي! توسلتُ وبكيتُ كثيراً! أهنتُ نفسي للرجل، ولكنه كان ينظر إليّ مبتسماً، وفخوراً بتعذيبي!

وصلَ تحنيط جسدي إلى عنقي، وكان الألم لا يُوصف! صرختُ وصرختُ... وصرختُ! إلى أن تحنط جسدي بأكمله!

"ماتيو روبرت... هل تؤمن بنا؟"

تمت

2019/ 08 /14

## همسة مخيفة

في كل يوم ينبهرنا العلم بشيء جديدا وكل سنة هناك بشر يكتب لهم أن تفتح أمامهم خزائن الأسرار.

مهما عشنا وتعلّمنا، مهما وصلنا إلى مراحل كبيرة في المعرفة، ثق تماماً -عزيزي القارئ- بأنك لن تستطيع أن تحلّ ألغاز هذه الدنيا.

وإياك -ولو للحظة- أن تشكك في البراهنه ووجودهم؛ فلن يعجبك الحال، لو أصبحت ضحيتهم التالية.

حصريا على موقع مكتبة نجد الثقافية
https://t.me/Nejd2025